تنوير القلوب والأفهام بقواعد التدبر والتفسير لكتاب رب الأنام

ورقة علمية معدة للندوة العلمية

في الملتقى الثاني

لكلية أصول الدين بجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية

بقلم

الدكتور خيرالدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية المساعد

٢٠١٠

بسم الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه:﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾،[النحل:٤٤]، والقائل أيضاً ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [ص: ٢٩]، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد المبعوث بالكتاب المبين، الفارق بين الهدى والضلال والغي والرشاد والشك واليقين، والقائل: [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**]، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار والتابعين الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار. إلى أن يقوم الناس لرب الواحد القهار، وبعد؛ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في مقدمة تفسيره: (**التفسير القيّم**):

"...أنزل الله عز وجل القرآن الكريم لنقرأه تدبرًا، ونتأمله تبصرًا، ونسعد به تذكرًا، ونحمله على أحسن وجوهه ومعانيه، ونصدق به ونجتهد على إقامة أوامره ونواهيه، ونجتني ثمار علومه النافعة الموصلة إلى الله سبحانه. فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته وطريقه الموصلة لسالكها إليه، ونوره المبين الذي أشرقت له الظلمات ورحمته المهداة التي بها صلاح جميع المخلوقات، والسبب الواصل بينه وبين عباده إذا انقطعت الأسباب، وبابه الأعظم الذي منه الدخول، فلا يغلق إذا غُلِّقت الأبواب. وهو الصراط المستقيم الذي لاتميل به الآراء، والذكر الحكيم الذي لا تزيغ به الأهواء، والنُزُل الكريم الذي لا يشبع منه العلماء. لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي آياته، ولا تختلف دلالاته. كلما ازدادت البصائر فيه تأملاً وتفكيرًا، زادها هداية وتبصيراً، وكلما بَحَسَت معينه فجّر لها ينابيع الحكمة تفجيرًا. فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها، وحياة القلوب ولذة النفوس، ورياض القلوب، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، والمنادي بالمساء والصباح: يا أهل الفلاح حي على الفلاح. نادى منادى الإيمان:﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، [الأحقاف:٣١]. أسْمَعَ والله؛ لو صادف آذاناً واعية، وبصَّر لو صادف قلوبًا من الفساد خالية. لكن عصفت على القلوب هذه الأهواء، فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها آراء الرجال فأغلقت أبوابها، وأضاعت مفاتيحها،

وران عليها كسبها، فلم تجد حقائق القرآن إليها منفذًا. وتحكّمت فيها أسقام الجهل فلم تنتفع معها بصالح العمل. واعجبًا لها كيف جعلت غذاءها من هذه الأراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولم تقبل الإغتذاء بكلام رب العالمين ونصوص حديث نبيه المرفوع! أم كيف اهتدت في ظلم الآراء إلى التمييز بين الخطإ والصواب وخفى عليها ذلك في مطالع الأنوار من السنة والكتاب! واعجبًا كيف ميزت بين صحيح الآراء وسقيمها، ومقبولها ومردودها، وراجحها ومرجوحها، وأقرّت على أَنفُسِها بالعجز عن تلقى الهدى والعلم، مِنْ كلام مَنْ كلامه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الكفيل بإيضاح الحق مع غاية البيان، وكلام من أوتي جوامع الكلم واستولى كلامه على الأقصى من البيان. كلا! بل هي والله؛ فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرّت العقول عن طرائق قصدها. سبحان الله ! ماذا حرم المعرضون عن نصوص الوحي، واقتباس العلم من مِشكاته من كنوز الذخائر، وماذا فاتهم من حياة القلوب واستنارة البصائر. قنعوا بأقوال استنبطتها معاول الآراء فكرًا، وتقطعوا أمرهم بينهم لأجلها زُبرًا، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، فاتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجورًا.

درست معالم القرآن في قلوبهم فليسوا يعرفونها، ودثرت معاهده عندهم فليسوا يعمرونها، ووقعت أَلْوِيَتُه وأعلامه من أيديهم فليسوا يرفعونها، وأفلت كواكبه النيرة من آفاق نفوسهم فلذلك لا يحبونها، وكُسِفَتْ شمسه عند اجتماع ظلم آرائهم وعُقَدِها فليسوا يبصرونها.

خلعوا نصوص الوحي عن سلطان الحقيقة وعزلوها عن ولاية اليقين، وشنوا عليها غارات التأويلات الباطلة فلا يزال يخرج عليها من جيوشهم كمين بعد كمين، نزلت عليهم نزول الضيف على أقوام لِئام، فعاملوها بغير ما يليق بها من الإجلال والإكرام، أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان، له السِّكَّة والخُطبة وماله حكمٌ نافذٌ ولا سلطان. المتمسك عندهم بالكتاب والسنة صاحب ظواهر؛ مبخوسٌ حظه من المعقول، والمقلد للآراء المتناقضة المتعارضة والأفكار المتهافتة لديهم هو الفاضل المقبول، وأهل الكتاب والسنة المقدمون لنصوصها على غيرها جهال لديهم منقوصون:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، [البقرة:١٣].

حرموا والله؛ الوصول بعدولهم عن منهج الوحي وتضييعهم الأصول، وتمسكوا بأعجاز لا صدور لها، فخانتهم أحرص ما كانوا عليها، وتقطعت بهم أسبابها أحوج ما كانوا إليها، حتى إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وتميّز لكل قوم حاصلهم الذي حصلوه، وانكشفت لهم حقيقة ما اعتقدوه، وقَدِموا على ما قدَّموه:﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾، وسقط في أيديهم عند الحصاد لما عاينوا غَلَّة ما بذروه، فيا شدة الحسرة عند ما يعاين المبطل سعيه وكدّه هباءًا منثورًا. فما ظنُّ من انطوت سريرته على البدعة والهوى والتعصب للآراء بربه يوم تبلى السرائر ! وما عذر من نبذ الوحيين وراء ظهره في يوم لا تنفع الظالمين فيه المعاذر ! أفيظن المعرض عن كتاب ربه وسنة رسوله أن ينجو من ربه بآراء الرجال أو يتخلص من بأس الله بكثرة البحوث والجدال، وضروب الأقيسة وتنوع الأشكال، أو بالإشارات والشطحات وأنواع الخيال ! هيهات والله لقد ظن أَكْذَبَ الظن ومنَّتْه نفسه أبين المحال. وإنما ضمنت النجاة لمن حكّم هدى الله على غيره، وتزود التقوى وائْتَمَّ بالدليل وسلك الصراط المستقيم واستمسك من الوحي بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم. وبعد؛

فلما كان كمال الإنسان إنما هو بالعلم النافع والعمل الصالح، وهما الهدى ودين الحق،كما قال تعالى:﴿ والعَصْرِ إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ إلا الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ وتواصَوا بالحقِّ وتواصَوا بالصّبر﴾، [العصر:١-٣]، أقسم سبحانه أن كل أحد خاسر إلا من كمل قوته العلمية بالإيمان وقوته العملية بالعمل الصالح، وكمَّل غيره بالتوصية بالحق والصبر عليه. فالحق هو الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما؛ كان حقيقاً بالإنسان أن ينفق ساعات عمره بل أنفاسه فيما ينال به المطالب العالية ويخلص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهُّمه وتدبُّره، واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه، والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد ..."[١].

[١] ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية أبو عبد الله، **التفسير القيم**، جمعه : محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد ، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، في المدينة المنورة، ج١، ص ١

هذا، ولمّا رأيت اعراض الناس عن القيام بواجب التدبر والتفسير لكتاب الله عز وجل، ورأيت همم المسلمين في هذا العصر البركاني، المليء بالتطورات والتغيرات، نحو كتاب الله قد ضعفت وأن عزائمهم قد ذبلت، واتجاهات منحرفة في التفسير قد ظهرت، وذلك بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية والفكرية والدينية القاسية وتكالب الأعداء على الأمة الإسلامية، استغل بعض شياطين الإنس وجنود إبليس هذا الزمان الصعب وهذه الفترة الزمنية الحالكة للأمة الإسلامية، فقاموا بتوظيف وتشغيل أفكار السفهاء من الناس عامة، والمغفلين من الدعاة الإسلاميين خاصة؛ بالموضوعات والقضايا التكفيرية والتفسيقية والتبديعية، وإخراج الناس من الملة الإسلامية، وتفسير الآيات القرآنية تفسيراً ظاهرياً ومنحرفاً، دون التدبر العميق والفقه المنير لتلك الآيات القرآنية. وترى الفريق الآخر من هؤلاء مستغرغاً في البحوث الفكرية المظلمة، والجدليات الفلسفية العقيمة...إلخ، أقول؛ لما رأيت هؤلاء وهؤلاء؛ عزمت بعون الله تبارك وتعالى أن أفرد رسالة حول ضرورة عودة الناس عامة والدعاة خاصة إلى تدبر كتاب الله حق التدبر وتفسيره تفسيراً منهجياً منضبطاً، حتى لا يشذوا عن منهج أهل السنة والجماعة ، وحتى ينقذوا أنفسهم وغيرهم من ذلك التيه والتعصب الفكري، وذلك بجمع وتتبع الطرق البيانية والخطوات المنهجية والقواعد الذهبية المتناثرة في بطون مصنفات التفسير وعلوم القرآن، قديماً وحديثاً، حول كيفية تدبر كتاب الله عز وجل تدبراً أمثل، وتفسيره تفسيراً علمياً منهجياً ميسراً، وفقه كتابه فقهاً سليماً، وتأويله تأويلاً منضبطاً بعيداً عن الهوى والتكلف، عسى أن تكون هذه الرسالة منهلاً مباركاً، ينهل من معينها طلبة العلم الشرعي أولاً، والباحثون المتخصصون بكتاب الله عزوجل ثانياً.

ولما كانت هذه المهمة الشاقة تتطلب الاستقراء التام، وتقصي الكتابات والمؤلفات التفسيرية لعلماء السلف والخلف، فإنني بإذن الواحد الأحد؛ سأبذل قصارى جهدي بالرجوع إلى تلك المصادر والمراجع المتعلقة بتفسير القرآن وعلومه، وجمع تلك الدرر العلمية المتناثرة والقواعد المنهجية، والشروط والآداب التفسيرية، والمفاتيح القرآنية، ليسهل علينا فهمُ وتدبرُ ومن ثمَّ تفسيرُ هذا الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

هذا، واللهَ أسأل التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، والبركة في الوقت، ومنه وحده استمد قواي وطاقتي لانجاز هذا العمل في خضم الأعباء التدريسية والبحثية في الجامعة، سائلاً الله سبحلنه تعالى أن يدخر عملي هذا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بروناي دار السلام

09.03.2010

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في قصيدته اللامية في علم القراءات:

[وإنَّ كتابَ الله أوثَقُ شافِعٍ – وأغنَى غَنَاءٍ واهِباً متفضِّلاً]

[وخيرُ جَليسٍ لا يُمَلُ حديثُهُ – وتَرْدادُهُ يزدادُ فيهِ تَجَمُّلاً]

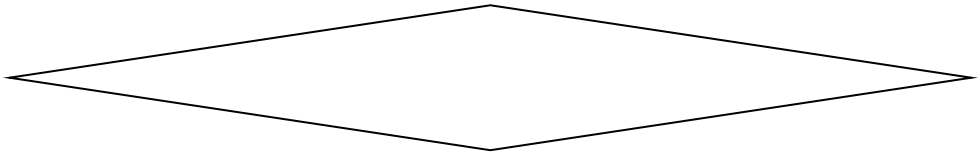

وقال الإمام البوصيري رحمه الله في قصديته اللامية:

[اللهُ أكبرُ إنَّ دينَ مُحَمَّدٍ – وكتابُهُ أقوى وأقومُ قِيلاً]

[لا تَذْكروا الكُتُبَ السوالِفَ عندَهُ – طَلَعَ الصباحُ فأَطْفأَ القَنْدِيلا]

الفصل الأول

- معنى التدبر والتفسير
- واجبنا نحو القرآن الكريم
- حاجة القلب إلى التدبر والتفسير
- حال الناس مع القرآن
- الرسول يتدبر القرآن
- حال السلف الصالح مع القرآن
- فضل التدبر في القرآن
- ذم ترك التدبر في القرآن
- ومضات من كلام المفسرين حول تدبر القرآن الكريم
- أنواع هجر القرآن الكريم

المبحث الأول: معنى التدبر والتفسير

المطلب الاول: معنى (التدبُّر) في اللغة والاصطلاح

التدبر لغة: قال ابن مظور في موسوعته اللغوية [لسان العرب]: " هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه..". و " وتدبُّر الكلام: النظر في أوله و اخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على وزن (التفعُّل) كالتجرُّع والتفهُّم والتبيُّن؛ فهو مشتق من النظر في أدبار الأمور وعواقبها.." [٢].

ومعنى تدبر القرآن: هو تفهُّم معاني ألفاظه، والتفكر في مدلولات الآية وإن كان اللفظ على ظاهره لم يشتمل على ذكر تلك الإشارات والمعاني. والتفسير يأتي نتيجة لتدبر كتاب الله عز وجل و بعد الغوص في معاني الآيات.

وتدبر القرآن الكريم ليس من اختصاص وحق العلماء فحسب. وإنما هو حق جميع الناس مسلمين وغير مسلمين، متخصصين وغير متخصصين. التدبر كما أشار إليه بعض الباحثين هو منظومة تشمل كافة بني البشر بما يحملون من قوى عقلية أودعها الله تعالى فيهم، وأن التدبّر أيضاً منظومة نسبية، يختلف تعامل الناس والعلماء معه وفيه بقدر ما يُعْطَى له من جهد وتلاوة وتدبر وتعمق وغوص في معاني الآيات ودلالاتها وإشاراتها وبحر معارفها، ومطالعة لكتب التفسير. وتدبّر التلاوة هو أن يمعن القارئ نظره في الآيات الكريمة ويتفكّر فيها ويتأمل حولها، وينظر إلى ما يمكن أن يكون في نهايات الآيات من العواقب والنتائج والدروس والعبر، لتتشبّع نفسه ويستغرق عقله في المفاهيم، ويهتدي سلوكه ببصائر الوحي الإلهي المقدس.

---

[٢] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، مصدر الكتاب: برنامج المحدث المجاني، ص ٤، ج٢٧ ، وانظر أيضاً: **التعريفات** للإمام الجرجاني، ص: ٧٦، مصدر الكتاب:http://www.alwarraq.com والكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ، وانظر أيضاً: السنيدي، سلمان بن عمر؛ **تدبر القرآن**، كتاب المنتدى – **مجلة البيان**، ط١، ٢٠٠١، ص: ٩-٢٤،

فتدبّر التلاوة هو وعي المضمون من أجل الإنفتاح على آفاق الكتاب الكريم، وإلا كيف يمكن التصديق بعظمة الآيات، وكيف يمكن التأثر الحقيقي بمرادات الباري عز وجل ، ولاخير في قراءة ليس فيها تدبّر.

ويظهر للباحث بعد التأمل في كلام العلماء أن معنى التدبر يشمل معرفة معاني الألفاظ، وما تدل عليه الآية وما يفهم من السياق العام للآيات أو اللحاق أو السباق، وتُحَرِّكُ العقل والقلب ببشائره وزواجره، و الخضوع لأوامره واليقين بأخباره. وكلٌّ من (الفهم) الذي هو العلم بمعنى الكلام، و(الفقه) الذي هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، و(البصيرة) الذي هو تكامل العلم، و(الفكر) الذي هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة، و(التفكر) الذي هو استعمال الفكرة في ذلك و إحضارها عنده، و(التذكر) الذي هو حضور المذكور العلمية في القلب، واختير له وزن (التَّفعُّل) لحصوله بعد مهلة وتدرج وبعد ذهوله وغيبته، ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾،[الأعراف: ٢٠١]، و(التأمل) الذي يفيد مراجعة النظر كرة بعد كرة، حتى ينجلي وينكشف المعنى للقلب، و(الاعتبار) الذي هو من العبور من معنى إلى معنى آخر، فكأنه يعبر مما قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة؛ ولهذا سمي (عِبْرَة)، وهي على بناء الحالات، كالجِلسة والقِتلة، فكأن صاحبه يعبر من هذه الحالة إلى المقصود، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾، [النازعات: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾، [آل عمران: ١٣]، و(الاستبصار) الذي هو من التبصر، و هو تبين الأمور وانكشافه وتجليه للبصيرة [٣].

[٣] السنيدي، سلمان عمر؛ **تدبر القرآن**، ص ١٠-١١ بتصرف

أقول: كل هذه المصطلحات لها علاقة مع بعضها البعض وهي مرتبطة مع بعضها شديدة الارتباط وهي تشكل في مجموعها منظومة موحدة وحلقات سلسلة فريدة تعين وتساعد وتفتح الطريق للتدبر الأمثل والتفسير الأقوم للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: معنى (التفسير) في اللغة والاصطلاح

وهناك حلقة أخرى مهمة لها علاقة وطيدة مع مفردات الحلقة السابقة، لحصول التدبر المنشود والتفسير المطلوب لآي الذكر الحكيم. هذه الحلقة اسمها: (التفسير). لنرى ماذا ذكر العلماء في معنى هذا المصطلح.

قالوا: إن (**التفسير**) مصدر على وزن (تَفْعيل)، فعله الماضي رباعيٌ مضعَّف: (فسَّر)، وتقول: (فسّر، يفسِّر، تفسيراً). جذر الكلمة الثلاثي- (فَسْرٌ)، و هو بيان الشيئ وإيضاحه، تقول:(فَسَرْتُ الشيء وفَسَّرْتُه).

قال الإمام الراغب الأصفهاني: " الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول، و(التفسير) في المبالغة (كالفَسْر)، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: (تفسير الرؤيا وتأويلها)..." [٤].

وقال ابن منظور : " (الفَسْر): البيان. يقال: (فَسَرَ الشيءَ وفَسَّرهُ)، أي أبانه.و(الفَسْرُ): كشف المغطى.."[٥].

ومعنى (**تفسير الكلام**): بيان معناه، و إظهاره وتوضيحه، وإزالة الإشكال واللبس، وإضافة المصدر (**تفسير**) إلى (**القرآن الكريم**) تجعل لهذا المركب الإضافي (**تفسير القرآن**) معنى خاصاً، يتعلق بالقرآن الكريم فقط[٦].

---

[٤] الأصفهاني؛ الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم: **مفردات ألفاظ القرآن**، نسخة محققة، دار النشر، دار القلم، دمشق، ج٢، ص ١٩٢

[٥] ابن منظور؛ **لسان العرب**، ج٥، ص ٥٥

وأما الإمام الزركشي في تعريفه لعلم التفسير ذكر بأنَّ : " التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ... " [٧].

إذن؛ **الخلاصة في علم التفسير** هو:

علم ينبني عليه فهم وفقه وتدبر القرآن الكريم، وبيان معانيه، وكشف أسراره، وإزالة الإشكال والغموض عن آياته، وفق آليات وشروط وضوابط وآداب وقواعد علمية محددة معروفة في هذا الفنّ، و الله أعلم.

المبحث الثاني: واجبنا نحو القرآن وحاجة القلب إلى التدبر والتفسير

المطلب الأول: واجبنا نحو القرآن الكريم

إن حق القرآن علينا كبير، وواجبنا نحوه عظيم. فمن حقه علينا أن نحسن التعامل معه حفظاً وتلاوة واستماعاً وتدبراً وتأملاً وفهماً وتفسيراً وفقهاً لأسراره:

١- **الاعتقاد فيه بعقيدة أهل السنة والجماعة.**

فهو كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه سلم، الواصل إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بآية أو سورة منه، الموجود بين دفتي المصحف، منه بدأ وإليه يعود، تكلم

---

[٦] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨، ص ٢٣-٢٤، وانظر أيضاً: الذهبي، محمد حسين؛ **التفسيروالمفسرون**؛ دار الحديث، القاهرة، ط.د.٢٠٠٥، ج١، ١٧-٢٢، و أيضاً انظر المؤلفات للمؤلف: الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **دراسات في علوم القرآن الكريم**، جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١٦، ٢٠٠٩، ص ١٦٣-١٦٤، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، جامعة الملك سعود، الرياض، ط٨، ص ٧- ٨

[٧] الزركشي، برهان الدين؛ **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص ١٣

الله به قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، ولا نقول إنه حكاية الله عز وجل أو عبارة، بل هو عين كلام الله، حروفه ومعانيه.

٢- **إنزاله منزلته، وتعظيم شأنه، وإحترامه وتبجيله وكمال محبته.**

فهو كلام ربنا ومحبته محبة لقائله، وتبجيله تبجيل لقائله.

٣- **تعلم علومه وتعليمه والدعوة إليه.**

قال صلى الله عليه وسلم: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه]، رواه الإمام البخاري. ثم أليس من الخزي – وأي خزي – أن يشيب الرجل في الإسلام وهو لا يحسن تلاوة القرآن؟!

٤- **فهم معانيه وتدبرها ومعرفة تفسيره والاتعاظ به.**

فالقرآن ما نزل إلا للتدبر والتفكر، والفهم والعمل، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾، [ص:٢١]. وكيف يطيب لعبد حال، ويهنأ بعيش أو منام، وهو يعلم أنه سيلقى الله تعالى يوماً وكتابه بين يديه، ولم يحسن صحبته، وقد يكون حجة عليه..؟!

٥- **الحرص على حفظه وتعاهده.**

فهو غنيمة أصحاب الهمم العالية، والعزائم الصادقة.فإن قصرت همتك عن حفظه كله فاحذر أن تكون ممن قال فيهم: [إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب]، رواه الإمام الترمذي.

٦- **إقامة حدوده والعمل به، والتخلق بأخلاقه، وتحكيمه.**

فالعمل به أساس النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وهجره طريق الذلة والهلاك في الدنيا والآخرة [٨]. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾،[الفرقان:٣٠]. قال ابن كثير رحمه الله:".. فترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه

[٨] **فضائل القرآن الكريم في السنة المطهرة**، ١٢٣-١٢٧

الى غيره من شعر أو غناء أو لهو من هجرانه.." [٩]. هذا باختصار شديد عن واجبنا نحو هذا الكتاب العظيم وعن حقه علينا[١٠].

المطلب الثاني: حاجة القلب إلى تدبر القرآن وتفسيره في هذا الزمان الصعب

قال الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾، [القمر: ١٧]. و قد تكررت هذه الآية في سورة القمر أربع مرات، و ما ذلك إلا لأهميته وفضله. وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: (**الفوائد**):

" في القلب شُعْثٌ لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلى الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسراتٍ لا يطفئها إلا الرضا بأمره، ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً.."[١١]. ومصداقاً لما تفضل به الإمام ابن القيم رحمه الله فإن آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤيد كلامه رحمه الله، منها:

---

[٩] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص ١٩٧

[١٠] أحيل القارئ الكريم للتوسع حول هذه المسألة إلى كتاب فضيل الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله، بعنوان: **كيف نتعامل مع القرآن العظيم – فهماً وتفسيراً**، فإن فيه غنية له عن المؤلفات المعاصرة في هذه المسألة، وقد لخص فضيلته مسألة واجبنا نحو القرآن في هذه النقاط: واجب **التلاوة والتجويد، واجب الحفظ والتمكين، واجب التدبر والتعلم، واجب العمل والتخلق، واجب الدعوة والتعليم**، راجع هذه الصفحات: ١٢ – ٦٥

[١١] ابن القيم؛ **الفوائد**، ص ١٠

١- قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾،[يونس: ٥٧-٥٨].

٢- وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، [فاطر:١٥].

٣- وقوله تعالى:﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، [النحل: ٩٦].

٤- وقوله تعالى:﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾، [الشورى:١٩]، وغير من الآيات الكثيرة.

إن الوسيلة الأولى لإصلاح النفس وتزكية القلب والوقاية من المشكلات وعلاجها –كما يقول بعض الباحثين المعاصرين – هو العلم ووسيلته الأولى القراءة والكتاب. لذا نجد أن الله تبارك وتعالى لما أراد هداية الخلق و إخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل إليهم كتاباً يقرأ، وفي أول سورة نزلت بدأت بكلمة عظيمة هو مفتاح[١٢] الإصلاح لكل الناس الأزمان والبلدان. فمن أراد النجاح وأراد الصلاح فلا طريق له سوى الاعتماد على الوحيين:القرآن والسنة، قراءة وحفظاً وتعلماً وتعليماً ودعوة ومحبة. والقرآن الكريم من شأنه أن يكون فاعلاً لا منفعلاً، ومؤثراً لا متأثراً، مصححاً للعقائد المنحرفة ومبطلاً للعادات والتقاليد الباطلة. ومن زعم غير ذلك فقد جهل القرآن والواقع التاريخي وغاب عن الوعي[١٣].

---

[١٢] اللاحم، خالد بن عبد الرحمن؛ **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة – ١٠ عشرة مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل**، ط١، ٢٠٠٤، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص٥-٦

[١٣] القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعامل مع القرآن العظيم – فهماً وتفسيراً**، ص ٢٣ – ٢٤

وفي هذا الزمان الصعب كثر الحديث عن النجاح والسعادة والتفوق والقوة، وكثرت فيه المؤلفات، وكل فريق يدعي أن كتابه أو برنامجه أو مذهبه أو حزبه هو الدواء الكافي والبلسم الشافي لهذه الأوضاع المؤلمة، وكل حزب بما لديهم فرحون !

غير أن الأمر ليس كما يزعمون. إننا لن نسلم من هذه الأوضاع المأساوية، ولن نخرج من هذه الظلمات، ولن ننقذ أنفسنا وغيرنا من هذا التيه الذي نحن فيه، ولن ترى أمتنا نوراً وسط هذا الظلام الدامس إلا إذا هي اقتبست نورها من نور وهدي كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، حفظاً وتلاوة، وتدبراً وتفسيراً، وتعلماً وتعلمياً، وعملاً ودعوة إليه بإخلاص وولاء صادق. ولا نجاح ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وبعض المعتدلين والمنصفين من بعض المذاهب الإسلامية يرون أيضاً أن الخروج من هذه الأزمة يكون بالعودة إلى القرآن الكريم بصدق وإخلاص. يقول الكاتب البحريني السيد محمود الموسوى مبيناً ضرورة عودة الناس إلى القرآن للخروج من هذه الأزمات النفسية والاجتماعية والدينية،لأن مفاتيح النجاة وأسباب التقدم في أيدينا، مشدداً على عدم الالتفات إلى التبريرات الشيطانية الخاوية للابتعاد عن القرآن لعدم وجود وقت كاف للتلاوة وتدبر القرآن، حيث قال:

" ماذا تقول فيمن يُعطى أسباب التقدم فلا يأخذ بها ؟ كيف تنظر لمن يُقدّم له أداة النجاح، فلا يعيرها اهتماماً ؟ وبأي وصف يمكن أن تصف من يُعطى مفتاحاً للخروج من الفتن والمشكلات، فيتركه وراء ظهره؟ بلا أدنى شك ستجيب وأجيب ويجيب كافة العقلاء بأن هذا الإنسان سيخرج من دائرة العقلاء وسيدخل ضمن صنف المجانين...نداء العقل الذي خلقه الله تعالى من نور، يكشف لنا بوضوح لا لبس فيه أنه ينبغي لنا أن نأخذ بأسباب التقدم وبأدواة النجاح، ومفاتيح المشكلات من حولنا، لنتخطاها ونتغلب عليها، وما يكون ذلك إلا بهدى القرآن الكريم، كلام الرب عز وجل لخلقه على مر العصور وفي سائر الأمكنة، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾،[الإسراء:٩] وهو ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، [الجن: ٢]، من

خلال بصائره التي يبصّر بها الناس ليمشون بها في الناس والحياة.

أما التبريرات الخاوية التي يدخل من خلالها الشيطان الرجيم لمنع نور القرآن من الوصول إلى قلب الإنسان، لينسف العلاقة بين الإنسان والقرآن، فمنها:

١- عدم كفاية الوقت: يتعذر البعض بأنه لا يمتلك سعة من الوقت لكي يقوم بالتواصل مع القرآن الكريم، وهذا التبرير ليس له واقعية، لأننا نجد أن من يشعر بأهمية شيء، فإنه يخصص له وقتاً ويحرص على أن يهتم به، كما أن الأوقات التي تضيع من الإنسان ليست قليلة، فهو قد يجد لنفسه وقتاً طويلاً للجلوس مع أقرانه، أو لمشاهدة برامج تلفزيونية، أو ماشابه ذلك، فكيف لا يجد لنفسه وقتاً مع القرآن!

٢- الإكتفاء بالتلاوة: قد يظن شخص بأن التلاوة بما لها من ثواب عظيم يكفي في التواصل مع القرآن الكريم، ولكن هذه النظرة ناقصة وتحتاج إلى تتمة، فالتلاوة هي مقدمة للوصول إلى معاني القرآن ونوره إلى القلب والعقل عبر تدبر آياته والتفكّر في مضامينه، ولذلك جاء في دعاء بداية تلاوة: [اللهم فاجعل نظري فيه عبادة، وقراءتي فيه فكراً، وفكري فيه اعتباراً واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه، واجتنب معاصيك، ولا تطبع عند قراءتي علي سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوة، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبر فيها بل اجعلني أتدبر آياته وأحكامه، آخذاً بشرائع دينك، ولا تجعل نظري فيه غفلة ولاقراءتي هذراً إنك أنت الرؤف الرحيم].

٣- عدم التمكّن من فهم القرآن: يأتي هذا التبرير بعدة وجوه، وكلها تقود إلى نفس الغاية، وهي نقض غرض القرآن، وحجب نوره من أن يصل إلى القلوب، فإن الله تعالى أنزل كتابه إلى الناس كافة، ولا يمكن أن ينزله عليهم ويطالبهم بالإيمان والهداية والإتعاظ به، دون أن يكون الكتاب نفسه نافذة تطل على الهداية، ودون أن يكون للإنسان القابلية والقدرة على الفهم والوصول إلى الهداية من خلاله، فالقرآن شهيداً بين يدي الرسول صلى الله عليه و سلم لينذر به الناس، ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ

لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾، [الأنعام: ١٩]. وقال عز وجل: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾، [ص: ٢٩]. نعم إن القرآن عميق غوره، وله بطون وآفاق قد لا يفهمها إلا العلماء، ولا يفهمها كلها إلا النبي- صلى الله عليه وسلم...، إلا أنه من جانب آخر فيه مستويات، فبعض يفهمه عامة الناس الذين يعرفون العربية وبما لهم من فطرة فطرهم الله عليها، وبما لهم من العقل الذي كرمهم الله به، يمكن أن ينهلوا منه، وبعض يفهمه العلماء والأولياء، كما جاء عن أمير المؤمنين – علي بن أبي طالب رضي الله عنه – : [ثم أن الله جلّ ذكره.. قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصحّ تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه الراسخون في العلم..). وقال الإمام زين العابدين (ع) ببيان لا لبس فيه: [كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء]. وأما عندما يقف الإنسان عند الآيات المتشابهات والتي لا يعيها ولا يصل علمه مضمونها، فلابد أن يلجأ إلى الذين يعلمون الكتاب – أي القرآن –، العلماء به، فينهل منهم ما نقص عنده، إما عبر التفاسير المكتوبة أو المنطوقة أو التعلّم عند المعلّم.

٤- التطفّل على القرآن: من تسويلات الشيطان الدقيقة التي ينبغي الحذر منها، هي أن يدعي البعض بأننا لا نحتاج إلى مرشد ومبيّن لفهم القرآن الكريم، وبدرجة أخص، يدعون بأنهم ليسوا بحاجة إلى النبي صلى الله عليه وسلم...لنأخذ أسباب القوة والنجاح ونتخطى المشكلات بالقرآن الكريم، فلا نهجره بتبريرات عدم الفهم ولا نجترحه من غير نهج قويم من أهل الذكر..." [١٤].

[١٤] http://www.annabaa.org/munasbat/ramadan1430/042.htm، تم تصفح الصفحة في ٢٠١٠/٠٣/٢٦ م

إننا نعيش اليوم في زمان غير زمان السلف الصالح، من حيث نوعيته وخطورته وتحدياته. زماننا وعصرنا هذا – في تقدير الباحث– هو من أصعب الأزمنة والعصور التي مرت على الأمة الإسلامية، من حيث الذل والقهر والتخلف، وتكالب الأعداء عليها لنهب ثرواتها وخيراتها، ومصادرة ثقافتها الدينية واستبدالها بالثقافة العلمانية الغربية. يقول بعض العلماء الفضلاء مبيناً سبب عداوة الغربيين للإسلام والمسلمين في هذا الصدد:

" ويلاحظ أن مسار المسلمين ومسار الغربيين يشكلان خطين متداخلين على التبادل؛ فحين يكون المسلمون في القمة، يكون الغربيون في القاع. وإذا كان الغربيون في القمة كان المسلمون في القاع. عندما يكون المسلمون في طور الأستاذية، يكون الغربيون في طور التلمذة. وعندما يكون الغربيون في طور الاستاذية، يكون المسلمون في طور التلمذة.." [١٥].

إن صورة الإسلام في ذهن الغربيين هي صورة غامضة، يكتنفها الكثير من الجهل والتشويش والعداوة الظاهرة، على الرغم من الحروب الدامية التي شنها الغرب على المسلمين في المنطقة العربية من آسيا، و في الهند والبلقان وإفريقية..أقول: إن المفروض والمتوقع أن يكون عندهم فهم أفضل للإسلام وحقيقته، ولكننا للأسف وجدنا الجهل العريض لعامة الشعوب الغربية بجغرافية العالم الإسلامي وتاريخه ودينه وشؤونه. هؤلاء الغربيون وقعوا ضحايا للدراسات الإستشراقية قديماً وحديثاً، وضحايا الأفلام ووسائل الإعلام. فالشرقي والمسلم عندهم شخص غير مألوف، فظٌّ غليظٌ قاسٍ، أسير الشهوات .!! فهم يعتقدون بأنه لا فائدة ترتجى من وراء معرفة أحوال تلك الشعوب المتخلفة أو النامية. فالشرق عندهم موطن السحر والخرافات والأوهام، وظلام المعابد ومأوى الشياطين والكهّان، وموطن النسل الوفير. فالشرق عندهم لا يعرف حرية الأفراد، ولا

[١٥] بكار، عبد الكريم ؛ **عصرنا والعيش في زمانه الصعب**، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤، ص ١٤

حرية التعبير، وكل ما لديهم من التقدم فهو بسبب التقدم التقني الغربي. والشرقي عندهم دموي إرهابي أصولي متطرف !!! وعند التأمل نجد أن المغذي الأساسي لهذا الصورة القاتمة هي رواسب الحروب الصليبية، والتشويه الإعلامي الصهيوني.

والغربي؛ للأسف، وكثير من المسلمين المعاصرين أيضاً، لا يستطيعون أن يتفهّموا حقيقة الرسالة الإسلامية وجوهر الدعوة القرآنية، بأن الدين لا ينفصل عن الدولة، وأن شمولية الأحكام الإسلامية[١٦] في حياة البشر تغطي كافة جوانب حياتهم؛ الدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية. فالدين عند الغربي شأن شخصي بحت، وعلاقة خاصة بين العبد وربه. فهو ينطلق في نظرته للدين والتدين من خلال معرفته بالنصرانية، وبالكنيسة التي كانت معارضة للعلم والحضارة والتقدم التكنولوجي. وللأسف؛ أصبحت هذه الكنيسة تضفي المشروعية على بعض الأعمال والتصرفات لا يمكن لأي دين سماوي أن يتقبلها، مثل ما أجازته الكنيسة الإنكليزية عقد القران بين الرجال بعضهم البعض، والنساء بالنساء. وكما أن الكنيسة الأمريكية أيضاً أجازت الرقص والموسيقى والغناء في أروقة الكنيسة حتى يرتادها الشباب والفتيات. أضف إلى ذلك حالات الفضائح الجنسية للقساوسة والرهبان، المعاصرون والقدماء في أمريكا وبريطانيا وإيطاليا وأستراليا..إلخ، أقامت الدنيا ولم تقعدها بين هؤلاء القوم! فهذا المقياس الغربي الفاسد، للدين والتدين يدفعه نحو اعتبار كل مسلم – مهما كانت درجة التزامه – أصولياً ومتطرفاً وإرهابياً...!! لأن تصوره المشوه للدين في واد وحقيقة أمر المسلم في واد آخر تماماً [١٧].

بناء على ما سبق، تأتي هذه الدراسة محاولة تقديم علاج لهذه العقد الفكرية المعوجة، والمواقف القاتمة السوداء لدى هؤلاء وهؤلاء، حتى يرجعوا إلى رشدهم من خلال البحث والتدبر للآيات

---

[١٦] انظر : القرضاوي، يوسف؛ **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، ط ١٠،١٩٩٧، بيروت، ص ٩-٥٩

[١٧] انظر: بكار، عبد الكريم ؛ **عصرنا والعيش في زمانه الصعب**، ص ١٥-١٧

القرآنية، لأنه كتاب الإنسانية كلها. وكثير من الناس دخل إلى الإسلام من خلال قراءته المتأنية والحرة للقرآن الكريم ووجدوا ضالتهم فيه. وأيضاً فإن هذه الدراسة يرجو الباحث أن تكون علاجاً لمواقف بعض المسلمين الذين انبهروا بالتقدم والنهضة والحداثة الغربية، وفضلوا النموذج الغربي للحياة على النموذج الإسلامي الرباني الأصيل. وكأن القرآن الكريم لم يتطرق إلى هذه القضايا !! وابتعد هؤلاء عن تدبر كتاب ربهم وتفسيره، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور قديماً وحديثاً. وغاب عن هولاء وهؤلاء أن من خصائص القرآن الكريم: أنه كتاب إلهي، وكتاب محفوظ ومعجز، ومتعبد بتلاوته، وكتاب ميسر، وكتاب الدين كله، وكتاب الزمن كله، وكتاب الإنسانية كلها [١٨].

ورغم هذه الصورة المظلمة والقاتمة في فكر العالم الغربي، فإننا نجد عشرات بل مئات طلائع من المسلمين الجدد من هؤلاء يومياً، ولا سيما بعد الأحداث الحادي عشر ٢٠٠١، وصدق الله العظيم:﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾، [التوبة:٣٢] [١٩]، ومصداقاً لقوله تعالى أيضاً: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾، [النصر: ١-٣].

المبحث الثالث: حال الناس مع القرآن الكريم، الرسول صلى الله عليه وسلم يتدبر القرآن، حال السلف الصالح مع القرآن

---

[١٨] انظر: القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعامل مع القرآن العظيم – فهماً وتفسيراً**، دار الشروق، ط١، ١٩٩٩، القاهرة، ص ١٧-١٩

[١٩] إن شئت أن تقف على هذه الحقائق يمكنك مشاهدة لقطات فديو مسجلة على الانترنت في يو تيوب بعنوان:
The fastest growing religion in the world: و من خلال البحث على غوغل، www.turntoislam.com

المطلب الأول: حال الناس مع القرآن الكريم

وتكملة لما سبق وتجلية لمسألة بعد الناس عن تدبر القرآن، نقول: إن الناس عند سماع القرآن أنواع: قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾، [ق: ٣٧]. وتأكيداً لهذه المسألة نرى من الفائدة ذكر كلام الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله حيث قال:

"الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ قلبُه ميتٌ، فذلك الذي لا قلبَ له، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه. الثاني: رجلٌ له قلب حيٌّ مستعدٌّ، لكنه غير مستمعٍ للآيات المتلُوةِ، التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة، إما لعدم وُرُودها، أو لوصولها إليه، وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصُلُ له الذكرى، مع استعداده ووجود قلبه. والثالث: رجلٌ حيُّ القلب مستعدٌّ، تُليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغلْه بغير فهم ما يسمعُهُ، فهو شاهدُ القلب، مُلقي السَّمع، فهذا القِسمُ هو الذي ينتفع بالآيات المتلوَّة والمشهودة.**فالأول**: بمنزلة الأعمى الذي لا يُبصر.**والثاني**: بمنزلة البصير الطَّامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه، فكلاهما لا يراه.**والثالث**: بمنزلة البصير الذي قد حدَّق إلى جهة المنظور، وأتبعه بصره، وقابله على توسُّطٍ من البُعد والقربِ، فهذا هو الذي يراه. فسبحان من جعل كلامه شفاءً لما في الصدور.

فاعلم أن الرجل قد يكونُ له قلبٌ وقَّادٌ، مليءٌ باستخراج العبر واستنباط الحكم، فهذا قلبه يُوقعه على التذكُّر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نُورًا على نور، وهؤلاء أكملُ خلق الله، وأعظمهم إيمانًا وبصيرةً، حتى كأنَّ الذي أخبرهم به الرسول مشاهدٌ لهم، لكن لم يشعُرُوا بتفاصيله وأنواعه...فصاحبُ هذا القلب إذا سمع الآيات وفي قلبه نورٌ من البصيرة، ازداد بها

نورًا إلى نوره. فإن لم يكن للعبد مثل هذا القلب فألقى السمع وشهد قلبُهُ ولم يغب حصل له التذكُّرُ أيضًا.."[٢٠].

[٢٠] انظر كتاب: **الفوائد**، للإمام ابن القيم، ص ١٠-٤٥

المطلب الثاني: الرسول صلى الله عليه وسلم يتدبر ويفسر القرآن

وحتى يكون قلب المسلم حيّاً، ولكي يستفيد من عِبَر القرآن ومواعظه، يحسن بنا أن نستعرض السنة النبوية المطهرة قليلاً لكي نرى حال الرسول صلى الله عليه وسلم وتدبره للقرآن وحال الصحابة رضوان الله عليهم، وحال السلف الصالح من بعدهم.

روى الإمام مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة. ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة؛ فمضى. ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها. يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ.." [٢١].

ولتكن قراءتك للقرآن الكريم بتدبر وخشوع، تقف حيث يحسن الوقوف، وتصل حيث يحسن الوصل، إن مررت بآية وعد سألت الله من فضله، وإن مررت بآية وعيد تعوذت بالله، وإن مررت بآية تسبيح سبَّحت، وإن مررت بسجدة سجدْتَ. واجتهد في تحسين صوتك بالقرآن، والتغني به، لقوله صلى الله عليه وسلم : [ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به] ، ومعنى [أذن]: أي استمع. وليكن لِلَيْلِك نصيب وافر من قراءتك وقيامك، فهو وقت الأخيار وغنيمة الأبرار. وبكى صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليه ابن مسعود من سورة النساء قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، [النساء:٤١]، فهل تتوقع أن يكون ذلك من غير تدبر؟

وكان يدعو الأمة إلى التدبر وفهم معاني القرآن، فحين نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

[٢١] صحيح **الإمام مسلم** بشرح النووي، ج٣، ص ٣٤

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:١٩٠- ١٩١]. قال صلى الله عليه وسلم: [ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها]. كما أنه صلى الله عليه وسلم فسر من القرآن الكريم تلك الآيات التي أشكلت على الصحابة أو احتاجوا إلى تفسيرها، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يفسر كل القرآن الكريم، وهذا هو الراجح في هذ المسألة بعد النظر والتأمل في الروايات الواردة وأقوال أهل العلم، والله أعلم.

المطلب الثالث: حال السلف الصالح في تدبر القرآن

وأما حال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع القرآن الكريم فحدث ولا حرج. كان ابن عباسٍ رضي الله عنهما يقول: "ركعتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلة بلا قلب". وكان الفضيل رحمه الله يقول: " إنما نزل القرآن ليُعْمَلَ به فاتخذ الناس قراءته عملاً. قيل: كيف العمل به؟ قال: ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه". وعمليًا كان منهم من يقوم بآية واحدة يرددها طيلة الليل يتفكر في معانيها ويتدبرها. ولم يكن همهم مجرد ختم القرآن؛ بل القراءة بتدبر وتفهم.. عن محمد بن كعب القُرَظِي قال: "لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ﴿**إذا زلزلت**﴾ و ﴿ **القارعة** ﴾ لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما، وأتفكر؛ أحبُّ إليَّ من أن أَهُذِّي القرآن (أي أقرأه بسرعة)".

ومما ساعد الصحابة رضوان الله عليهم على تدبر القرآن الكريم وحسن تفسيره قلة المؤثرات الخارجية من أمثال الإسرائيليات وغيرها. فقد تميز تفسيرهم بقلة الأخذ من الإسرائيليات، كما أنهم رضوان الله عليهم لم يكونوا يتعمقون ولا يتكلفون في التفسير ويكتفون بالمعنى العام. فمنهجهم في الفهم والتفسير كان يعتمد على ثلاثة أسس:١- تفسير القرآن بالقرآن، ٢-

تفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم،٣- والاجتهاد والاستنباط المباشر من القرآن، لأنهم عرب خلّص وشاهدوا التنزيل وتوافرت عندهم أدوات التدبر والتفسير. فهم فرسان اللغة العربية، ولديهم معرفة بعادات العرب وأخلاقهم، كما أنهم كانوا على علم بأحوال اليهود والنصارى، وأسباب النزول. [٢٢].

المبحث الرابع: فوائد التدبر، ذم ترك التدبر، ثمار التدبر

المطلب الأول: فضل التدبر

إذا عرفنا حال الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الصحابة والتابعين في تدبر القرآن باختصار حتى فازوا بخيري الدنيا والآخرة، يحسن بنا في هذا المقام أن نتطرق إلى ذكر فوائد التدبر في معاني آيات القرآن الكريم، والتي يجنيها العبد المسلم من ورائه. ولم أجد في هذا الصدد كلاماً أفضل من كلام ابن القيم، حيث قال رحمه الله:

"...اعلم رعاك الله أن العبد إذا وفق لتدبر آيات الله تعالى فاز بالخير العميم. فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما. وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما، وتَتُلُّ في يده(تضع) مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة. وتثبت قواعد الإيمان في قلبه. وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم. وتبصره مواقع العبر. وتشهده عدل الله وفضله. وتعرفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه

[٢٢] انظر للوتسع: الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **أصول التفسير ومناهجه**، مكتبة التوبة، ط.د، الرياض، ١٤١٣، ص ٢٠-٢٥

الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها. وتعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم. ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه. وافتراقهم فيما يفترقون فيه. وبالجملة تعرِّفُهُ الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه. وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه أمور ضروري للعبد معرفتها. ومشاهدتها ومطالعتها. فتشهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها. وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم. فتريه الحق حقاً، والباطل باطلاً. وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال. والغي والرشاد. وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً. فيصبر في شأن والناس في شأن آخر. فإن معاني القرآن دائرة على التوحيد وبراهينه، والعلم بالله وما له من أوصاف الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، وعلى الإيمان بالرسل، وذكر براهين صدقهم، وأدلة صحة نبوتهم. والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم. وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدبيرهم الأمور بإذنه ومشيئته، وما جعلوا عليه من أمر العالم العلوي والسفلي، وما يختص بالنوع الإنساني منهم، من حين يستقر في رحم أمه إلى يوم يوافي ربه ويقدم عليه. وعلى الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه لأوليائه من دار النعيم المطلق، التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد وتنغيص. وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل، التي لا يخالطها سرور ولا رخاء ولا راحة ولا فرح. وتفاصيل ذلك أتم تفصيل وأبينه. وعلى تفاصيل الأمر والنهي، والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواعظ والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات، في خلقه وأمره. فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من

العذاب الوبيل، وتحثه على التضمُّر والتخفف للقاء اليوم الثقيل. وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل. وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل، وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل. وتبصره بحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل. وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل. وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل. وتناديه كلما فترت عزماته، ووَنِيَ في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل. فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل. وتحدو به وتسير أمامه سير الدليل. وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدو، أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر! فاعتصم بالله، واستعن به، وقل: حسبي الله ونعم الوكيل. وفي تأمل القرآن وتدبره، وتفهمه، أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد.." [٢٣].

المطلب الثاني: ومضات من كلام بعض المفسرين حول تدبر القرآن

بناء على ما تقدم ذكره من كلام ابن القيم حول فوائد التدبر للقرآن الكريم، يظهر مصداق كلامه أيضاً من خلال كلام بعذ المفسرين الأجلاء من السلف الصالح والمعاصرين حول آيات التدبر للقرآن الكريم. نذكر على سبيل المثال:

١- ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾، [الحديد:١٦]، عندما عاتب الله عز وجل الصحابة رضوان الله عليهم وحذرهم من خطر هجر تدبر القرآن. "...قال محمد بن كعب رحمه الله: كان الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة، ففتروا

[٢٣] ابن القيم : **الفوائد**، ص ١٥-٢٠

عما كانوا فيه، فقست قلوبهم فوعظهم [٢٤] الله فأفاقوا.." ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والعتاب والتحذير لعامة المؤمنين والمسلمين من باب أولى.

٢- قال الإمام الزمخشري في الكشاف في تفسيره لقوله تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [ص:٢٩]، " ...وتدبر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة...وعن الحسن : قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله: حفظوا حروفه وضيعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطتُ منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بِحِفظِ حروفه وإضاعةِ حدوده ، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء. اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين ، وأعذنا من القراء المتكبرين" [٢٥].

٣- وقال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [ص:٢٩] ، " ...فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي لم يقف على هذه الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم..."،[٢٦]وقال تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾، [المؤمنون:٦٨].

٤- وقال الأستاذ سيد قطب في تفسير لقوله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، [محمد :٢٤]، "... أولئك الذين يظلون في مرضهم ونفاقهم حتى يتولوا عن

---

[٢٤] القرطبي، عبد الله؛ **الجامع لأحكام القرآن**، ص ١٦، ص ٢٥٠

[٢٥] **الزمخشري**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، **الكشاف**، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني،[الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]،ج٦، ص ١٧

[٢٦] **الرازي**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، مصدر الكتاب، قرص المكتبة الشاملة، ٢٠٠٦، الإصدار الثاني من مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة،الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع ، ج ١٣، ص ١٣٧

هذا الأمر الذى دخلوا فيه بظاهرهم ولم يصدقوا الله فيه، ولم يستيقنوه﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾.. وطردهم وحجبهم عن الهدى، ﴿ فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾.. وهم لم يفقدوا السمع ، ولم يفقدوا البصر؛ ولكنهم عطلوا السمع وعطلوا البصر، أو عطلوا قوة الإدراك وراء السمع والبصر؛ فلم يعد لهذه الحواس وظيفة لأنها لم تعد تؤدي هذه الوظيفة. ويتساءل في استنكار :﴿ أفلا يتدبرون القرآن﴾، وتدبر القرآن يزيل الغشاوة ، ويفتح النوافذ ، ويسكب النور ، ويحرك المشاعر ، ويستجيش القلوب ، ويخلص الضمير. وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، ﴿ أم على قلوب أقفالها ؟﴾ فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور! "[٢٧].

٥- وقال الإمام بن عاشور في تفسيره لهذه الآية :﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، [النساء:٨٢]، ".. والتدبّر مشتقّ من الدُّبر، أي الظَّهر، اشتقّوا من الدُّبر فعلاً، فقالوا : تدبّر إذا نظر في دُبُر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته،...والتدبّر يتعدّى إلى المتأمَّل فيه بنفسه، يقال: تدبّر الأمَر . فمعنى ﴿ يتدبَّرون القرآن ﴾ يتأمّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأمّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق. وسياق هذه الآيات يرجّح حمل التدبُّر هنا على المعنى الأول، أي لو تأمّلوا وتدبّروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم ، ولما بَقُوا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع

[٢٧] قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن** ، ج٦، ص ٤٥١

إظهارهم الإسلام. وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلاّ أنّ المعنى الأول أشدّ ارتباطاً بما حكي عنهم من أحوالهم..." [٢٨].

٦- قال الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، [الحشر: ٢١]، " حث على تامل مواعظ القرآن ، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر ، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة متشققة من خشية الله، و أنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده.! " [٢٩].

ومصداقاً لكلام هؤلاء المفسرين الأجلاء رحمهم الله تعالى، هنالك آيات قرآنية كثيرة أشارت إلى فضل التدبر لكلام الله عز وجل والخشية منه سبحانه، وثناء الله عز وجل لهم، نختار طائفة منها:

١- قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[المؤمنون: ٦٠].

٢- وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [الحج: ٣٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

---

[٢٨] ابن عاشور، محمد الطاهر؛ **التحرير والتنوير**، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني من مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة ، ج٣، ص ٤٨٣

[٢٩] القرطبي، أبو عبد الله؛ **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٨، ص ٤٤

٤- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾،[الإسراء: ١٠٧].

٥- وقوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، [الحديد: ١٦].

٦- وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾،[الأنفال: ٢٤].

٧- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، [السجدة: ١٥].

٨- وقوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾،[مريم: ٥٨].

٩- وقوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾،[الفرقان: ٧٣].

١٠- وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾، [المائدة: ٨٣].

المبحث الخامس: ذم ترك التدبر و أنواع هجر القرآن

المطلب الأول: ذم ترك التدبر في معاني القرآن الكريم

ناقش العلماء العلماء قديماً وحديثاً قضية ابتعاد المسلمين عن القرآن الكريم والتمسك بتعاليمه وأحكامه وعللوا ذلك ليست هذه الدراسة موضع بسطها. وفعلاً أنه من تأمل حالنا مع هذا الكتاب العظيم ليجد الفرق الكبير والبون الشاسع بين ما نحن فيه وما يجب أن نكون عليه. تجد فينا إهمالاً في الترتيل والتلاوة، وتكاسلاً عن الحفظ والقراءة، وغفلة عن التدبر والعمل، وبعد عن الدعوة إليه وعدم محبته وتقديره حق التقدير.

والأعجب من ذلك أن ترى اليوم كثيراً من المسلمين، وتسمع من الطلاب والطالبات في الجامعات العربية وغير العربية بأنهم يضيعون أوقاتهم في مطالعة الصحف والمجلات، ومشاهدة المسلسلات المكسيكية أو التركية، ومتابعة المباريات سواء في ذلك فريق اللاعبين أو اللاعبات، بنين أو بنات، وسماع الأغاني المخلة بالمروءة، والانشغال بالملهيات، والتركيز على مشاهدة لقطات فيديو على اليوتيوبات، سواء ما طاب منها أو ما خبث، والمحادثة والسهر على الماسنجرات، ورد على الرسائل الواردة في الجوالات والإيميلات، واستغراق في حديث الفنانين والفنانات...إلخ، ظلمات بعضها فوق بعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا تجد لكتاب الله تعالى في أوقاتهم نصيباً، ولا لروعة خطابه منهم مجيباً، ولا لزواجره وروادعه نذيراً..!! فأي الأمرين إليهم أحب، وأيهما إليهم أقرب ! العودة إلى كتاب الله عز وجل بالتدبر والتفسير والتلاوة ؟ أم استمرارهم في غيّهم، واتباع شهواتهم ، وغفلتهم وضلالهم، فهم في طغيانهم يعمهون وإلى ربهم لا يهتدون !!

وترى أحدنا إذا قرأ القرآن لم يحسن النطق بألفاظه، ولم يتدبر معانيه ويفهم مراده. فترانا نمر على الآيات التي طالما بكى منها الباكون، وخشع لها الخاشعون، وأن حال الصادقين المخلصين مع القرآن إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، ووجلت قلوبهم من وعيده فهم من خشيته مشفقون، والتي لو أنزلت على جبل..﴿ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾، [

الحشر: ٢١]. فلا ترق قلوبنا، ولا تخشع نفوسنا، ولا تدمع عيوننا، وصدق الله إذ يقول:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾، [البقرة: ٧٤] .

وترانا نمر على الآيات تلو الآيات، والعظات تلو العظات، ولا نفهم معانيها، ولا ندرك مراميها، وكأن أمرها لا يعنينا، وخطابها لا يناجينا.. فقل لي بربك، مثلاً؛ ما معنى الصَّمَدُ ؟ وما المراد بـ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾؟، وما هو:﴿ الْخَنَّاسِ ﴾، ﴿ والليل إذا عَسْعَسْ﴾ ؟ والواحد منا يتلو هذه الآيات في يومه وليلته أكثر من مرة..؟! أي هجران بعد هذا الهجران، وأي خسران أعظم من هذا الخسران..؟! لا أجد له تبريراً وأرفضه جملة وتفصيلاً.

كما أننا نجد آيات كثيرة قد ذمت قديماً هولاء المعرضين والمشركين الذين هجروا القرآن والذين كانوا لا يتدبرونه ولا يفقهونهخ مع كونهم فرساناً في البلاغة والخطابة والبيان، ونعت عليهم بصيغ مختلفة قائلة:

١- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، [لقمان: ٧].

٢- وقوله تعالى:﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾، [يونس: ٤٢].

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾،[محمد: ١٦].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [الأنعام: ٢٥].

٥- وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾،[الفرقان: ٣٠].

٦- وقوله:﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾، [الأعراف: ١٩٨].

٧- وقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، [الأعراف: ١٨٤].

٨- وقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾، [الحج: ٧٣].

المطلب الثاني: مظاهر هجر القرآن

يظهر للباحث فيما سبق أن هجر القرآن الكريم والابتعاد عن هديه وتدبره له صور ومظاهر ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- هجر تلاوته، وسماعه، والإصغاء إليه، واستبداله بسماع الكلام الباطل والغناء الفاحش وغيرها. وحتى النبي صلى الله عليه وسلم كان يستمع للقرآن من غيره كما حصل منه أن استمع لأبي موسى وابن مسعود.
- هجر الإيمان والعمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه. ولو عمل الناس بالقرآن ما رأيت معصية ولا اعتداء على الغير ولا ظلم ولا فساد إداري أو غير إداري، ولحفظت الجوارح. قال بن مسعود رضي الله عنه: [ينبغي أن يعرف أهل القرآن بالقيام إذا الناس نائمون، وبالبكاء إذا الناس يضحكون، وبالصوم إذا الناس يفطرون] [٣٠].

[٣٠] تخريج هذا الحديث..

ويمكن أن نضيف إلى كلام ابن مسعود رضي الله عنه و أن نقول:

أ – ينبغي أن يعرف أهل القرآن بالصدق والإخلاص إذا الناس يكذبون وينافقون.

ب- وبالأمانة والثقة إذا الناس يخونون.

ج – وبالجود والسخاء إذا الناس يبخلون.

د – وبالجد والاجتهاد إذا الناس ينامون ويتكاسلون.

هـ - وبالابتسامة والحب إذا الناس يعبسون ويُقَطِّبُون.

ز – وبحسن السمت والأدب والتربية إذا الناس يجهلون.

ح – وبالعفو والصفح إذا الناس ينتقمون.

ط – وبالحلم والصبر إذا الناس يظلمون.

ي – ملتزمين بآداب الحوار والمناقشة إذا الناس يخالفون.

ك – وبالابتعاد عن مجالس اللهو واللغو إذا الناس يخوضون.

ل – وبالابتعاد عن التجسس والغيبة والنميمة والحقد والحسد إذا الناس يقعون.

م- وبالتفاني والولاء المخلص للوطن وللمؤسسات والجامعات التي هم فيها يعملون.

ف – وبالاهتمام بحسن المنظر وجمال الهيئة إذا الناس يزهدون...والله أعلم.

- هجر التحاكم إليه وتحكيمه، والرضا بالعادات والأعراف والقوانين والأهواء. وما دخل النقص على الناس إلا عندما تركوا تدبر القرآن فانشغلوا بما لا فائدة فيه.
- هجر الاستشفاء به في القلب والبدن، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾،[الإسراء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ)، [فصلت:٤٤].
- هجر تدبره وتفهمه. فأصبح القارئ يقرأ والقرآن يلعنه، لأنه يقرأ ويكذب ويظلم وينافق، فيكون من أهل اللعنة.

- من رفع هذا القرآن رفعه الله، ومن وضعه؛ وضعه الله. إنها كرامة.. وأي كرامة.. أن يكون بين أيدينا كتاب ربنا، وكلام مولانا، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً.
- هجر الدعوة إليه وعدم نشر ترجمته باللغات المختلفة، وبيان اعجازه بين الناس في وسائل الاعلام الحديثة، المرئية والمسموعة والمقروءة، ولا سيما في الشبكة العنكبوتية، والله أعلم.

الفصل الثاني:قواعد المتدبر والمفسر للقرآن الكريم

المبحث الأول: قواعد المتدبر والمفسر الروحية والنفسية

لم يجد الباحث لحد علمه حتى الآن هذا التقسيم بهذا الاعتبار – أي الأسس والقواعد الروحية والنفسية، والأسس والقواعد العلمية المنهجية – فيما وقف عليه وقرأ من كلام العلماء. وإنما أئمة السلف والخلف أشاروا إلى هذه القواعد والأسس مجتمعة مع بعضها البعض، وقد رأي الباحث من الفائدة تقسمها على النحو المذكور سابقاً. فقد أشار إلى بعضها الإمام السيوطي في (الإتقان) والإمام الزركشي في (البرهان) والإمام الغزالي في (الإحياء) رحمهم الله جميعاً. وبعد المطالعة لتلك المصادر رأيت أن أصنف خلاصتها مرتبة على النحو الآتي:

١- صحة الاعتقاد.
٢- التجرد عن الهوى.
٣- حسن النية وصحة المقصد.
٤- حسن الخلق، والامتثال والعمل.
٥- وتحري الصدق والضبط في النقل.
٦- التواضع ولين الجانب.
٧- عزة النفس، والجهر بالحق.
٨- والهيبة والوقار، والأناة والرويّة.
٩- استحضار الجو الإيماني.
١٠- الوقوف على كل آية والانفعال معها.
١١- أن يخلص لله في قراءته ويستحضر عظمة الله تعالى.
١٢- وأن يتنبه إلى أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر.
١٣- أن لا يطلب بالقرآن شرف المنزلة عند أبناء الدنيا.

١٤- التوبة والابتعاد عن المعاصي؛ فهي تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه وتوهن القلب وتمرضه.

١٥- ومن أخطر المعاصي وأعظمها صدا عن التأثر بالقرآن وتدبره سماع الغناء والموسيقى وآلات الطرب واللهو التي تصد القلوب عن القرآن.

١٦- أن يحضر القلب ويطرد حديث النفس أثناء التلاوة ويصون يديه عن العبث وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة.

١٧- أن يستشعر القارئ بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصيًا.

١٨- التأثر، فعند الوعيد يتضاءل خيفة، وعند الوعد يستبشر فرحًا، وعند ذكر الله وصفاته وأسماءه يتطأطأ خضوعا، وعند ذكر الكفار وقلة أدبهم يخفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، ويشتاق للجنة عند وصفها، ويرتعد من النار عند ذكرها.

١٩- يتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية.

٢٠- تحاشي موانع الفهم؛ مثل أن يصرف همه كله إلى تجويد الحروف وغير ذلك.

٢١- اختيار الوقت المناسب والذي يتجلى الله فيه على عباده وتتنزل فيه فيوضات رحمته.

٢٢- وأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وأما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل والنصف الأخير من الليل أفضل من الأول، وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الفجر.

٢٣- ترديد الآية للتدبر والتأثر بها، البكاء أثناء التلاوة وبخاصة عند قراءة آيات العذاب أو المرور بمشاهده وذلك عندما يستحضر مشاهد القيامة وأحداث الآخرة ومظاهر الهول يوم القيامة .[٣١]

٢٤- علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه أشار الحديث: [من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم]. والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال الإمام الزركشي في البرهان: " اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو وهو

---

[٣١] أنظر للتوسع: **الاتقان في علوم القرآن** للإمام السيوطي؛ ج ١، ص ٤٤٥؛ **البرهان في علوم القرآن** للإمام الزركشي؛ ج ١، ص ٤٤٩-٤٥٢، **واحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي، الباب الثالث، كتاب: آداب تلاوة القرآن، ج١، ٢٨٠ - ٣٢٠

مصرٌّ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم..، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض. ولعل قوله تعالى﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾، [الأعراف:١٤٦]، يشير إلى هذه المعاني. قال سفيان بن عيينة في معنى هذه الآية: (أي أنزع عنهم فهم القرآن..)" [٣٢].

٢٥- أن يكون عالماً بأبواب السر من الإخلاص والتوكل والتفويض وما يصلح الأعمال وما يفسدها ومعايب النفس.

٢٦- أن يفوض أمره إلى الله تعالى، متضرعاً إلى الله أن يلهمه الرشد والتوفيق والسداد، وأن يحذر الإعجاب، لأن المعجب مخذول.

٢٧- أن يكون من أهل الزهد والرغبة في الآخرة [٣٣].

٢٨- ومن الركائز الروحية والنفسية للمتدبر والمفسر للقرآن الكريم التي ذكرها بعض العلماء، والتي كان يتمتع بها الأستاذ سيد قطب رحمه الله: الواقعية والجدية في البحث.

٢٩- المنهجية السلفية.

٣٠- بيان دور الإنسان ومركزه.

٣١- الإلمام بالملابسات التاريخية لنزول القرآن.

٣٢- بيان تعامل الصحابة مع القرآن.

٣٣- تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر وتحليل حاضر العالم الإسلامي.

٣٤- التأكيد على قضايا الدعوة واستراتيجية الحركة في مواجهة المادية الجاهلية.

---

[٣٢] انظر: **الإتقان في علوم القرآن**، بتصرف شديد، ج١، ص: ٤٤٥؛ **والبرهان في علوم القرآن** ج٢، ص ١٧٥-٢٠٠-٢٠١، **والموافقات في الشريعة الإسلامية** للإمام الشاطبي، ج٣، ٣٤٧ - ٣٤٨

[٣٣] خالد عبد الرحمن العك؛ **أصول التفسير وقواعده**،، ص ٨١ – ٨٣ – ١٨٨، وانظر أيضاً: الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج١، ص ٢٥٠

٣٥- التأكيد على إبراز التصوير الفني من الآيات القرآنية، الذي هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فالقرآن يعبر عنه بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية...فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحال النفسية لوحة أو مشهد، إذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. وكذلك الحوادث و القصص والمشاهد و المناظر يصورها شاخصة حاضرة .. [٣٤].

٣٦- الإكثار في آيات العقيدة من الإشراقات واللمحات والنتائج والأحكام والتحليلات[٣٥].

٣٧- التأكيد على حقائق العقيدة الإسلامية و جعلها الركيزة والأساس لكل شيء.

٣٨- التأكيد على قضية الحاكمية والألوهية لله تعالى حتى تستقر في قلوب الناس، وأنها إن صلحت صلح معها كل شيء، وإذا فسدت فسد معها كل شيئ [٣٦] .

٣٩- الثقة بالنفس وعدم الاضطراب فيما يذهب إليه من الآراء و يتبنى من الأفكار.

٤٠- تذوق النص القرآني.

٤١- التزود برصيد ضخم من المشاعر والمدركات والتجارب، واستصحابه لها ونحن ننظر في نصوص القرآن و نتلقى إيحاءاته.

٤٢- الذهاب بالخيال والمشاعره والأحاسيس إلى الجو الذي تنزل فيه القرآن في مكة والمدينة، لإدراك أثر القرآن وتأثيره هناك..[٣٧].

٤٣- ملاحظته حركة الصحابة في جو مكة والمدينة بالقرآن، وتفاعلهم معه ..." [٣٨].

٤٤- التأثر الكبير بالمنهج القرآني والتركيز على الأولويات والأسس التي قام عليها المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى.

---

[٣٤] أنظر : قطب، سيد؛ **التصوير الفني في القرآن**، ص ٣٠-٥٠، و راجع أيضاً: **في ظلال القرآن في الميزان**، ص : ٣٠٥-٤٠٠

[٣٥] أنظر : زرزور، **عدنان؛ مدخل إلى التفسير و علوم القرآن**، ص :٢٦٧

[٣٦] أنظر : قطب، سيد؛ **مقومات التصور الإسلامي**، فصل: (ألوهية وعبودية)، ص:٤١ ، وفصل :(حقيقة الألوهية)، ص:٨١ .

[٣٧] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ص :٥٩ .

[٣٨] المرجع السابق، ص :٥٩ .

٤٥- الإدراك والفهم لشمولية الرسالة الإسلامية في كافة الجوانب البشرية وحاجة البشرية والقلوب إلى الله تبارك وتعالى، والنظرة التكاملية في آيات القرآن الكريم.

٤٦- الفهم الدقيق لعظمة وطبيعة المنهج الرباني.

٤٧- اليقين الجازم والحاسم، من أن البشرية كافة متجهة إلى الهاوية، إذا هي لم تلتزم بشريعة الله عز وجل، وأنه لن يصلح آخر أمرها إلا بما صلح به أولها.

٤٨- التحلي بالشجاعة النادرة والإيمان الكبير وعدم إقامة وزن كبير لهذه الحياة الدنيا رغم مغرياتها الكثيرة، وأنها يجب أن تبدو في أعيننا صغيرة حقيرة مقارنة بالآخرة، وعدم الخوف من أحد سوى الله عز و جل.

٤٩- القدرة على الفهم والتحليل للواقع السياسي المحلي والعالمي، وربطه بالقرآن الكريم وعرضه على ميزانه.

٥٠- المعايشة للظروف السياسية الراهنة والمتكالبة على العالم الإسلامي، والحالة الدينية والاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للأمة الإسلامية.

٥١- عدم التأثر بالقوانين الوضعية البشرية، مثل الشيوعية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية والرأسمالية والعلمانية والإلحادية والعولمة والحداثة.

٥٢- إدراك وفهم تأثيرات الكنيسة السلبية على العالم، قديماً وحديثاً وتلبس رهبانها وقسسها بالفضائح الأخلاقية والشذوذ الجنسي، ولا سيما في هذا الوقت الراهن.

٥٣- إدراك وفهم لخطط وأساليب الصهاينة من اليهود المتطرفين والنصارى الصليبيين في محاربة الإسلام والمسلمين في العالم عموماً، وطمس الهوية و المعالم الإسلامية في فلسطين المحتلة عامة و تهويد القدس الشريف خاصة.

٥٤- إدراك طبيعة وسر القرآن المكي، والحِكم التي تكمن وراء هذه الفترة الطويلة من النزول، و التأمل فيما سماه الأستاذ سيد قطب: بـ: ظاهرة القرآن المكي، و تقرير العقيدة وعدم تجاوزها إلى الأمور الثانوية [٣٩].

---

[٣٩] قطب سيد، **معالم في الطريق**: ص : ٢١-٢٢ .

٥٥- الوقوف طويلاً في مسألة العمل مع الإيمان، التي هي الأساس في حياة الإنسان، وأن الأمر لم يعد مجرد مشاعر أو كلام [٤٠].

٥٦- فهم أهمية ترسيخ العقيدة والإيمان بالله في قلوب الناس قبل أي شيء آخر، لأنها كما قال رحمه الله: "..إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة، وأن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان، وأن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم وانتصار الإيمان على الفتنة.." [٤١].

٥٧- عدم رؤية فصل الدين عن الدنيا، لأنه كما قال رحمه الله: " ليس من طبيعة المنهج الإلهي أن ينحصر في المشاعر الوجدانية والأخلاقيات التهذيبية والشعائر التعبدية أو في ركن ضيق من أركان الحياة البشرية ركن ما يسمونه: الأحوال الشخصية[٤٢].

٥٨- إعطاء الأولوية لدين الله في كل شيء، وأن دين الله لا يمكن أن يكون محكوماً أو مقوداً، وإنما يجب عليه أن يكون دائماً حاكماً أو قائداً أو مهيمناً حيث قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله: "كلا إن "دين الله" لا يرضى إلا أن يكون سيداً مهيمناً، قوياً متصرفاً، عزيزاً كريماً، حاكماً لا محكوماً، قائداً لا مقوداً .." [٤٣].

٥٩- التحلي باليقين والثبات والصمود والصبر وعدم تطرق اليأس والشك إلى قلوبنا بسبب ما نراه من حولنا من الضربات والأزمات والتحديات للإسلام والمسلمين[٤٤]. وهذا اليقين يستمد من طول الصحبة للقرآن الكريم كما أشار إلى ذلك الأستاذ سيد قطب: "..وهذا يقين نستمده من طول الصحبة لهذا القرآن وطول الصحبة كذلك للمحاولات البشرية في البيان. وطول المزاولة الشخصية للكتابة فترة من العمر طويلة .." [٤٥].

---

[٤٠] قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي**، ص : ١٨٢-١٨٣ .

[٤١] قطب، سيد، **معالم في الطريق**، ص :١٧٠-١٧١ .

[٤٢]قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج ٧، ص :٨٩-٩٠ ، **و معالم في الطريق** :ص :٣٨-٣٩

[٤٣] قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٩٨٨، مطبعة الفيصل، ص: ٩٣، و يراجع بتوسع فصل :الألوهية والعبودية في: **مقومات التصور الإسلامي**، ص :٨٤-١٠٧، ١٠٠٩، ١٣٢-١٣٤ .

[٤٤] قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ص :١١٦-١١٧، وانظر: قطب، سيد؛ **خصائص التصور الإسلامي**، الثبات ،ص :٨٧

[٤٥] قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي** (القسم الثاني)، ص :٢٤-٢٥، بيروت، دار الشروق، ط ٤ ١٩٩٣، وانظر: قطب، سيد؛ **خصائص التصور الإسلامي** للمؤلف، بيروت، دار الشروق، ط-٨ ١٩٨٣، ص:١٠

٦٠- إدراك وفهم منهج الصحابة في قراءتهم وتدبرهم لكتاب الله، وكيفية تفاعلهم معه، وتفسيرهم للقرآن الكريم؛ وهو أنهم كانوا يقرؤون القرآن بقصد التلقي والتنفيذ، وليس بقصد المتاع والقراءة المجردة، يقول رحمه الله:" إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه" [٤٦] .

٦١- إدراك حاجة البشرية وجوعتها إلى العقيدة وإلى الإيمان بالله تعالى، حيث عبر رحمه الله قائلاً ".. إنها جوعة من نوع آخر، جوعة إلى الإيمان بقوة أكبر من البشر، وعالم أكبر من المحسوس ومجال من الحياة الدنيا، وجوعة إلى الوئام بين ضمير الإنسان وواقعه، بين البشرية التي تحكم ضميره والشريعة التي تحكم حياته، بين منهج حركته الذاتية ومنهج الحركة الكونية من حوله. جوعة إلى " اله " واحد يتلقى منه شريعة قلبه وشريعة مجتمعه على السواء ... " [٤٧].

٦٢- إدراك الحكمة والسبب لهذه الجوعة والحاجة البشرية هو أن: "... المنهج الرباني الصادر عن علم (بدل الجهل)، و كمال (بدل النقص)، وقدرة (بدل الضعف)، و حكمة (بدل الهوى) ، القائم على أساس: إخراج البشر من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده دون سواه.." [٤٨].

نريد أن نختم كلامنا في هذه المسألة، أي مسألة ذكر القواعد الروحية والنفسية للمتدبر والمفسر والتالي لكتاب الله تعالى أيضاً ما ذكره حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله. فقد ذكر في كتابه : (**إحياء علوم الدين**) كلاماً مهماً ونفيساً للغاية.

---

[٤٦] قطب، سيد، **معالم في الطريق**:ص-١٩

[٤٧] المصدر السابق :٦٨-٦٩ ، وانظر فصل : (ألوهية و عبودية)، في **مقومات التصور الإسلامي**، ص :١٠١، وانظر: قطب، سيد، **نحو مجتمع إسلامي**، ص٢٩ .

[٤٨] المصدر السابق:ص- ٨، ويراجع فصل :الربانية، في كتاب :**خصائص التصور الإسلامي و مقوماته** للمؤلف ،ص ٤٣ ، وانظر المقدمة في :**نحو مجتمع إسلامي** ،ص :٥-١٣، و يراجع بتوسع فصل : تيه وركام، في :**خصائص التصور الإسلامي**، ص :٢٢ .

أقول: إن هذا الذي ذكره رحمه الله في أعمال الباطن للقارئ أثناء التلاوة يصلح، بل ينبغي ويجب أن تكون قاعدة فكرية وأخلاقية ونفسية للمتدبر والمفسر لكتاب الله عز وجل أيضاً. حيث قال رحمه الله:

" الباب الثالث، في أعمال الباطن في التلاوة، وهي عشرة:١- فهم أصل الكلام. ٢- ثم التعظيم. ٣- ثم حضور القلب. ٤- ثم التدبر. ٥- ثم التفهم. ٦- ثم التخلي عن موانع الفهم. ٧-ثم التخصيص. ٨- ثم التأثر. ٩- ثم الترقي. ١٠- ثم التبري.

فالأول: فهم عظمة الكلام وعلوه؛ وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه.

الثاني: التعظيم للمتكلم؛ فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر... ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربي هو كلام ربي؟ فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله. فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعد له، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمى والتعالي. فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس؛ قيل في تفسير ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، [مريم:١٢]، أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره، وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال أو شيء أحب إلي من القران حتى أحدث به نفسي! وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه

يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه. ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ؟

الرابع: التدبر؛ وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره. والمقصود من القراءة التدبر. قال علي رضي الله عنه: [لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها]. وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام. فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً. ويروى [أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة]، وإنما رددها صلى الله عليه وسلم لتدبره في معانيها. وعن أبي ذر قال: [قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾،[المائدة: ١١٨] وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، [الجاثية: ٢١]. وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾، [يس: ٥٩].

وقال بعضهم: إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر. وكان بعضهم يقول: [آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثواباً]. وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: [إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال. ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها. وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها. وقال بعض العارفين: [لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمه منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد]. وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه.

الخامس: التفهم؛ وهو أن يستوضح من كل أية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل. وذكر أفعاله. وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام. وذكر أحوال المكذبين

لهم وأنهم كيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار. أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾،[الشورى:١١] وكقوله تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، [الحشر:٢٣] فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثوِّر القرآن. وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها. وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها. فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله، إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته. فينبغي أن يشهد في العقل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء، إذ كل شيء فهو منه، وإليه، وبه، وله، فهو الكل على التحقيق. ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه. ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾،[الواقعة:٦٣]، و﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾، [الواقعة:٥٨]،﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾،[الواقعة:٦٨]، و﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾، [الواقعة: ٧١]، فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى، بل يتأمل في المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة، كما قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾،[يس:٧٧]، فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع. وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فإذا سمع منها كيف كُذبوا وضُربوا وقُتل بعضهم. فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئاً. وأما أحوال المكذبين؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغترّ بما أمهل فربما تدركه النقمة

وتنفذ فيه القضية. وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد بقدر رزقه، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾، [الكهف: ١٠٩].

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه. ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾، [محمد:١٦] والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم. وقد قيل: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد.

السادس: التخلي عن موانع الفهم؛ فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن. قال صلى الله عليه وسلم [لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت]، ومعاني القرآن من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت.

وحجب الفهم أربعة:

أولها: أن يكون الهمُّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وُكِّلَ بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه. فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

ثانيها؛ أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه

فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون. وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خفّ عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه.

فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدإ، ومعاني القرآن مثل الصور، التي تتراءى في المرآة. والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام، وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي]. قال الفضيل: يعني حرموا فهم القرآن. وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير، فقال تعالى: ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾، [ق:٨]، وقال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴾، [غافر:١٣]، وقال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [الرعد:١٩]. فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه: [إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن]..

السابع: التخصيص؛ وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن. فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور. وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك. ولذلك قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، [هود:١٢٠]، فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى. وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين؟ ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٣١]،" وقال عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، [الأنبياء: ١٠]، و قوله عز وجل: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، [النحل:٤٤]، وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾، [٣محمد:]، وقوله عز وجل: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾، [الزمر: ٥٥]، وقوله: ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، [الجاثية: ٢٠]، وقوله: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، [آل عمران:١٨٣].

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد. فهذا القارىء الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود. قال الله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾، [الأنعام: ١٩]. قال محمد بن كعب القرظي: [من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله. وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه]. ولذلك قال بعض العلماء: [هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات]. وكان مالك بن دينار يقول: [ما زَرَعَ القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض]. .

الثامن: التأثر؛ وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال وَوَجْدٌ يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره. ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه... ولذلك قال الحسن: [والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن

يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه، وكثر بكاؤه وقل ضحكه، وكثر نَصَبُهُ وشغله وقلت راحته وبطالته... فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت. وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح. وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته. وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته ويكسر في باطنه حياء قُبْحَ مقالتِهِم. وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها. وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها، ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود [اقرأ عليّ قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾، [النساء: ٤١]، رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي: حسبك الآن. وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية. ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد. ومنهم من مات في سماع الآيات. فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه. فإذا قال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، [يونس:١٥]، ولم يكن خائفاً كان حاكياً. وإذا قال﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾، [الممتحنة: ٤]، ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً. وإذا قال: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾، [إبراهيم:١٢] فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة. فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، [هود:١٨]. وفي قوله :﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾، [الصف:٣]، وفي قوله:﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، [مريم:٣٩]، وفي قوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾، [النجم:٢٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾، [الحجرات:١١]، إلى غير ذلك من الآيات. وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾، [البقرة: ٧٨]، يعني التلاوة المجردة. وقوله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾، [يوسف:١٠٥]، لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً

عنها. ولذلك قيل: إن من لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن؛ فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى: مالَكَ ولِكلامي وأنت معرضٌ عني. دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ. ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه. ولذلك قال يوسف بن أسباط: [إني لأهم بقراءة القرآن فإذا ذَكَرْتُ ما فيه خشيت المقت فأعدِلُ إلى التسبيح والاستغفار. والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾، [آل عمران:١٨٧]، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم. فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه – وفي بعضها – فإذا اختلفتم فقوموا عنه]. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، [الأنفال: ٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: [إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى]. ولذلك قال بعض القراء: [قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فانتهرني، وقال جعلْتَ القرآن عليَّ عملاً. اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك. وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال. فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة! اختلف في اثنين منهم. وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم... وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار. فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ.

التاسع: الترقي؛ وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه. فدرجات القراءة ثلاث، أدناها: أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال. الثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء

والتعظيم والإصغاء والفهم. الثالثة: أن يرى في الكلاء المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه، بل يكون مقصوراً لِهَمِّ على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره. وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين... ولذلك قال بعض الحكماء: [كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه كنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيماً لا أصبر عنه]. وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام. ولذلك قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة. وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ ففروا إلى الله ﴾، [الذاريات:]، ولقوله: ﴿ولا تجعلو مع الله إلهاً آخر ﴾، [الذاريات:]. فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيرَهُ. وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي. بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل.

العاشر: التبري؛ وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بين الرضا والتزكية. فإذا تلا بآيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم. وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك، وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً. ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: [اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري، فقيل له: هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾، [إبراهيم:٣٤]... ومهما كان مشاهداً نفسه بعين الرضا صارا محجوباً بنفسه، فإذا جاوز حدا الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: [وعد ابن ثوبان أخاً له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت

فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك الذي حبسني عنك! إني لما صليت العتمة قلت. أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت].

وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً. وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها. وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش. فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب في اختلاف الحالات، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها؛ إذ يستحيل أن يكون حالة المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل..." [٤٩].

[٤٩] الغزالي، أبو حامد؛ **إحياء علوم الدين**، الباب الثالث، في أعمال الباطن في التلاوة، ج١، ص ٢٨٠

المبحث الثاني: قواعد المتدبر والمفسر العلمية والمنهجية

تمهيد:

مما لا شك فيه، فإن علم التفسير من أشرف العلوم لكونه متعلقاً باشرف الأشياء، وهو القرآن الكريم. و التفسير علم قابل للنمو والتطور والنضج[٥٠].

والصحابة والتابعون رضوان الله عليهم كانوا يحضون على فهم وتفسير كتاب الله عز وجل و العمل به، والآثار في ذلك كثيرة معروفة، منها قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ، والعمل بهنّ !). وقال التابعي الجليل مسروق رحمه لله: (كان عبد الله بن مسعود يقرأ علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار. وقال سعيد ين جبير: (من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى) [٥١].

وبجانب حثهم على التفسير والاهتمام به، فإننا رأيناهم رضي الله عنه كانو يحذرون من القول في القرآن وتفسيره بغير علم. قال أبو بكر الصديق رضي الله: (أي أرض تقُلُّني و أي سماء تُظِلُّني إذا قلت في القرآن بما لا أعلم !). وقال ابن عباس رضي الله عنه: (من تكلم في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار !).

وهذه الأقوال المأثورة عن السلف الصالح في عدم الخوض في كتاب الله عز وجل، كما هو ملاحظ؛ محمولة على من قال في التفسير بغير علم ومجرد اتباع الهوى. و أما إذا توفرت لديه الشروط والآداب المطلوبة، والعلوم الضرورية والمؤهلات العلمية والدينية والثقافية، وكان تفسيره

---

[٥٠] الصباغ، لطفي؛ **بحوث منهجية في أصول التفسير**، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت ، لبنان، ص: ١٢-١٣

[٥١] الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **تعريف الدارسين بناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨، ص ٥١-٥٢

منبنياً على الأسس والضوابط العلمية والقواعد المنهجية، فهو مأجور عند الله إن شاء الله، ومحمود فعله عند الناس[٥٢].

ونظراً لكون هذه المسألة من أمهات المسائل في التفسير وعلوم القرآن، فإن علماءنا الأجلاء قديماً وحديثاً أولوا لها عناية بالغة واهتماماً خاصاً، قبل أن يناقشوا القضايا الأخرى الثانوية.

فمن الأئمة الأعلام القدامى الذين أصَّلوا و ناقشوا هذه المسألة العلمية؛ نذكر:

١. الإمام الطبري في (**مقدمة تفسيره**)[٥٣].
٢. الإمام أبو حامد الغزالي في(**إحياء علوم الدين**) [٥٤].
٣. الإمام القرطبي في (**مقدمة تفسيره**) [٥٥].
٤. الإمام بن كثير في (**مقدمة تفسيره**) [٥٦].
٥. الإمام أبو حيان في (**مقدمة تفسيره**) [٥٧].
٦. الإمام الزركشي في (**البرهان في علوم القرآن**) [٥٨].
٧. الإمام بن تيمية في (**مقدمة في أصول التفسير**) [٥٩].
٨. الإمام السيوطي في (**الإتقان في علوم القرآن**) [٦٠].
٩. العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في (**القواعد الحسان لتفسير القرآن**)[٦١]

---

[٥٢] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **تعريف الدراسين..**، ص ٥٢-٥٣

[٥٣] انظر: الطبري؛ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج١، ص: ٢٠-٢٣، ٢٨-٢٩

[٥٤] انظر: الغزالي؛ أبو حامد؛ **إحياء علوم الدين**، الباب الثالث، في أعمال الباطن في التلاوة، ج١، ص ٢٨٠

[٥٥] انظر: القرطبي؛ **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ٢٠-٣٠، ٢٠٠٦، المدينة المنورة

[٥٦] انظر: بن كثير؛ **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص: ٦٣

[٥٧] انظر: أبو حيان؛ **تفسير البحر المحيط** ، ج١، ص: ٦-٩

[٥٨] انظر: الزركشي؛ **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص: ٤٤٩-٤٥٢

[٥٩] انظر: بن تيمية؛ **مقدمة في أصول التفسير، ص ٦ – ٦٠**

[٦٠] انظر : السيوطي؛ **الاتقان في علوم القرآن**، ج١، ٤٣٧ -٤٤٥

[٦١] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر؛ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٩، الرياض، ص:٧-٢٢٧

ومن الأئمة الأعلام المعاصرين الذين أصَّلوا و ناقشوا هذه المسألة العلمية؛ نذكر:

١- الشيخ د. محمد حسين الذهبي (**التفسير والمفسرون**) [٦٢].

٢- الأستاذ الشهيد سيد قطب في أغلب مؤلفاته ولا سيما (**في ظلال القرآن**)

٣- الشيخ د. عبد العظيم الزرقاني في(**مناهل العرفان في علوم القرآن**)[٦٣].

٤- والشيخ مناع القطان في (**مباحث في علوم القرآن**) [٦٤] .

٥- والشيخ العلامة محمد الغزالي في (**كيف نتعامل مع القرآن**) [٦٥].

٦- والشيخ د. محمد بن لطفي الصباغ في(**بحوث في أصول التفسير**)[٦٦].

٧- والشيخ د. يوسف القرضاوي:(**كيف نتعامل مع القرآن العظيم – فهماً وتفسيراً**)[٦٧].

٨- والدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في:(**تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**) [٦٨].

٩- والأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في: (**بحوث في أصول التفسير ومناهجه**) [٦٩]، و (**دراسات في علوم القرآن الكريم**)[٧٠].

١٠- والشيخ د. خالد عثمان السبت في:(**قواعد التفسير – جمعاً ودراسة**)[٧١].

١١- والشيخ العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميادني في (**قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**)[٧٢].

---

[٦٢] انظر: الذهبي؛ محمد حسين؛ **التفسير والمفسرون**، ج١، ص ٣٠-٤٥

[٦٣] انظر: الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**،

[٦٤] انظر: القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**، ص

[٦٥] انظر: الغزالي، محمد؛ **كيف نتعامل مع القرآن**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩١، هيرند- فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٥-٣١

[٦٦] انظر: الصباغ، محمد بن لطفي؛ **بحوث في أصول التفسير، ط١، ١٩٨٨**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ١٢-١٣

[٦٧] انظر : القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم**، ط١، ١٩٩٩، دار الشروق، القاهرة، ص: ١-٢٠

[٦٨] انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **تعريف الدارسين بناهج المفسرين**، ص ٥١-٥٢

[٦٩] انظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **بحوث في اصول التفسير ومناهجه**، ط. د، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٣ هـ، ص ١٣٦ -١٤٣

[٧٠] انظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **دراسات في علوم القرآن**، ط٢، دار البشير، الرياض، ٢٠٠١

[٧١] انظر: السبت، خالد عثمان؛ **قواعد التفسير – جمعاً ودراسة**، ط١، مكتبة المؤيد، المدينة المنورة

[٧٢] انظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة؛ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، ص ١٠- ٥٦٠

١٢- والأستاذ د. عدنان زرزور في (**مدخل إلى التفسير وعلومه**) [٧٣].

١٣- والشيخ خالد عبد الرحمن العك في (**أصول التفسير وقواعده**) [٧٤].

١٤- والشيخ محي الدين بلتاجي في (**دراسات في التفسير وأصوله**) [٧٥].

١٥- والشيخ الأستاذ د. محمد سعيد رمضان البوطي في (**من روائع القرآن**)[٧٦].

أما العلوم والقواعد الفكرية والمنهجية الواجب توفرها عند المتدبر والمفسر فنقول وبالله التوفيق والهداية:

إن من أراد أن يتفهم القرآن أو يتدبره أو يفسره، فليُعِد له عدته وليتأهب له عقلياً وعلمياً ونفسياً، فإنما هو مخلوق يفسر كلام الخالق، وهو مخلوق يمثل ما في المخلوقات من قصور وعجز، ومحدود بحدود الزمان والمكان والإمكان، أمام الواحد القهار الذي لا يحد علمه ولا مشيئته ولا قدرته شئ [٧٧]. واختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل أحد الخوض فيه؟ فقال قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها.

وهذه العلوم، كما قال العلماء؛ هي كالآلة للمتدبر وللمفسر. ولا يكون مفسراً إلا بتحصيلها، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. وأما الصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن حالهم كحالنا نحن في هذا

---

[٧٣] انظر: زرزور، عدنان؛ **مدخل إلى التفسير وعلومه**، ط١، دار الزمان، ٢٠٠٠، ص ١٠٠-١٢٠

[٧٤] انظر: العك، خالد عبد الرحمن؛ **أصول التفسير وقواعده**، ط٢، ١٩٨٦، **دار النفائس، بيروت، لبنان، ص ٦٥-٦٦**

[٧٥] بلتاجي، محي الدين؛ **دراسات في التفسير وأصوله**، ط١، ١٩٨٧، دار الثقافة، الدوحة، ص ١٢- ١٨

[٧٦] البوطي، محمد سعيد رمضان؛ **من روائع القرآن – تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز وجل**، ط.د، ١٩٨٢، مكتبة الفارابي، دمشق،ص ٧٠- ٧٩

[٧٧] انظر : القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم**، در الشروق، ط١، القاهرة، ص: ٢٠

الزمان الصعب المليء بالفتنة والفساد وصوارف الملهيات، تكاد العجمة واللكنة في اللغة العربية تختنقنا، لو لا أن الله أدركنا بلطفه ورحمته وتسخيرنا لخدمة كتابه، وسكب علينا من فيوضات معارفه وعلمه، فلله الحمد أولاً وآخراً.

ولقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد تفسير القرآن الكريم بالرأي الجائز المحمود أن يكون ملماً بجملة من العلوم والثقافات والأدوات والقواعد التي يستطيع بواسطتها أن يفهم وأن يفقه وأن يتدبر؛ ومن ثَمَّ أن يفسر القرآن الكريم تفسيراً صحيحاً، سليماً مقبولاً ومنضبطاً، واعتبروا هذه العلوم والأدوات بمثابة السياج والحصن الحصين الذي يعصم المتدبر والمفسر من الوقوع في الخطأ والزلل، والقول على الله بغير علم.

ولتسهيل فهم وضبط هذه المسألة نرى من الفائدة أن نرتب هذه القواعد والمنهجية والعلمية التي وقفت عليها أثناء القراءة والبحث في المصادر جملة على شكل فقرات أو نقاط، محاولاً قدر الإمكان عدم ذكر القواعد المكررة:

قال العلماء: من أراد تدبر وفقه وتفسير القرآن الكريم :

١- طلبه أولاً من القرآن، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه، هذا ما أطلق عليه العلماء تفسير القرآن بالقرآن.

٢- ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم والتابعين من بعدهم،ويتجنب المحدثات، و هذا هو ما أطلق عليه العلماء تفسير القرآن بالسنة وبكلام الصحابة والتابعين.

٣- وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام.

٤- اللغة؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

٥- النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

٦- التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ الكلامية.

٧- الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح، هل هو من السياحة أو المسح.

٨- علم المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المتدبر والمفسر، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم.قال السكاكي: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه. وقال ابن الحديد: اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه.

٩- علم القراءات؛ لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

١٠- أصول الدين؛ بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى. فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

١١- أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

١٢- أسباب النزول والقصص؛ إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

١٣- الناسخ والمنسوخ؛ ليعلم المحكم من غيره.

١٤- الفقه؛ إذ به يعرف الحلال والحرام والمباح والمستحب والواجب والفرض والباطل والفاسد والجائز من أمر الدين.

١٥- الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم - لأن السنة شارحة لكتاب الله عز وجل ومبينة له، ومخصصة للعام، وموضحة للمبهم، ومقيدة للمطلق — والله أعلم.

١٦- معرفة محكمه ومتشابهه.

١٧- ومقدمه ومؤخره.

١٨- وعامه وخاصّه.

١٩- ومجمله ومبينه

٢٠- وناسخه ومنسوخه.

٢١- ومطلقه ومقيده.

٢٢- ومنطوقه ومفهومه.

٢٣- وحقيقته ومجازه.

٢٤- وتشبيهاته واستعاراته.

٢٥- وكنايته وتوضيحه.

٢٦- والإيجاز والإطناب.

٢٧- والحصر والاختصاص.

٢٨- والخبر والإنشاء.

٢٩- وفواصل الآي.

٣٠- وفواتح السور.

٣١- وخواتم السور.

٣٢- وأمثال القرآن.

٣٣- وأقسام القرآن.

٣٤- ومناسبات الآيات والسور.

٣٥- وإعجاز القرآن [٧٨].

وذكر الإمام الزركشي في هذه المسألة أنه من الضروري أن يفهم المتدبر والمفسر أنواع الخطابات القرآنية، ومن هذه الخطابات:

[٧٨] انظر: الزركشي؛ **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص: ٢١٤- ٣٩١، و انظر للتوسع والمزيد: مقدمة تفسير: **الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي**، ج١، ٣٠-٣٦؛ و **مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير**، ص:٢٨-٣٣

٣٦- خطاب العام يراد به العموم، مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾،[العنكبوت:٦٢]

٣٧- خطاب الخاص يراد به الخصوص، مثل قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾، [التوبة:٣٥].

٣٨- خطاب الخاص يراد به العموم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾، [الطلاق:١].

٣٩- خطاب الجنس، قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ]﴾، [الحج:٤٩].

٤٠- خطاب النوع، قال تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾،[البقرة: ٤٠].

٤١- خطاب العين، قال تعالى:﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، [الأعراف: ١٩].

٤٢- خطاب المدح، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾،[الصف: ٢].

٤٣- خطاب الذم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، [لتحريم: ٧].

٤٤- خطاب الكرامة، قال تعالى:﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾،[الحجر: ٤٦].

٤٥- خطاب الإهانة، قال تعالى:﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾،[ص: ٧٧].

٤٦- خطاب التهكم والاستهزاء، قال تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، [الدخان: ٤٩].

٤٧- خطاب العين والمراد به غيره، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، [الأحزاب: ١]، لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقياً، والمراد المؤمنون.

٤٨- خطاب الجمادات، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾،[فصلت: ١١].

٤٩- خطاب التهييج، قال تعالى:﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، [المائدة: ٢٣].

٥٠- خطاب التحنن والاستعطاف، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، [الزمر: ٥٣].

٥١- خطاب التحبب، قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾،[مريم: ٤٢].

٥٢- خطاب التعجيز، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [يونس: ٣٨].

٥٣- خطاب التكذيب،:﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[آلعمران: ٩٣].

٥٤- خطاب التشريف من الله عز وجل مباشرة لعباده، قال تعالى:﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، [الملك: ٢٩].

٥٥- صيغ العموم، مثل لفظ: (كل، وجميع)، قال تعالى:﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾،[الطور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٩].

٥٦- الجمع المعرف بـ:أل، الاستغراقية، قال تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ..﴾، [البقرة:٢٢٨].

٥٧- الجمع المعرف بالإضافة، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾، [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾، [المعارج: ٢٤].

٥٨- أسماء الشرط.

٥٩- أسماء الاستفهام.

٦٠- النكرة الواقعة بعد سياق النفي.

٦١- النكرة الموصوفة بوصف عام.

٦٢- الأسماء الموصولة.

هذا باختصار فيما ذكره القدامى من أئمة السلف الصالح من العلوم والقواعد في هذه المسألة.

ومن العلماء المعاصرين الذين أبدعوا في هذه المسألة؛ أي مسألة ذكر قواعد وضوابط وشروط المتدبر والمفسر العلمية، نختار دراسة الشيخ العلامة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني رحمه الله، في دراسته المستفيضة والدقيقة حول قواعد التدبر الأمثل والتفسير الأقوم للقرآن الكريم، حيث ذكر فضيلته أربعين قاعدة علمية يحتاج إليها المتدبر والمفسر لكتابه الله تعالى. ونظراً لكثرة هذه القواعد المدعمة بالأدلة في هذا السفر العظيم، فإننا نضطر إلى ذكر عناوين تلك القواعد فقط، دون ذكر الأمثلة التطبيقية التي ذكرها فضيلته.

فمن هذه القواعد:

١- ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة.

٢- وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن.

٣- وحدة موضوع السورة القرآنية.

٤- أوجه النص التي يهدف إليها.

٥- بيئة نزول النص البشرية والزمانية والمكانية والنفسية والفكرية الفردية والاجتماعية.

٦- التفسيرات الجزئية و المعني الكلي.

٧- تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن واستبعاد التكرير لمجرد ما أمكن.

٨- تتبع التفسير المأثور لمعنى النص.

٩- تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح.

١٠- الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية.

١١- ووضع آيات مكية التنزيل في سورة مدنية.

١٢- النظر فيما ورد في أسباب النزول.

١٣- لزوم فهم الآية وفق ترتيب نَظْمِها.

١٤- القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية.

١٥- اقتضاء النص ولوازمه وروابطه الفكرية ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمينات التي يضمها.

١٦- التكرير وأغراضه.

١٧- ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً.

١٨- الربط بين الآيات وخواتيمها.

١٩- النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة.

٢٠- تردد النص بين دلالتين فأكثر.

٢١- القَسَم في القرآن.

٢٢- النظر في ملائمة الأسلوب البياني للهدف منه.

٢٣- البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية.

٢٤- الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها.

٢٥- التنويع في أساليب الأداء البياني.

٢٦- البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص.

٢٧- ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر.

٢٨- رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي.

٢٩- استعمال الكلام أكثر من معنى.

٣٠- التعليل بأنْ المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية ولزوم تقدير المحذوفات قبلها.

٣١- استعمال الفعل الماضي: فيما له الكينونة الدائمة وفيما حصل فعلاً، وفيما هو مقضي مقدر، و فيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل.

٣٢- النظر في توجيه الخطاب الرباني.

٣٣- كلمة ﴿ لعلَّ ﴾ الواردة في القرآن.

٣٤- كلمة (﴿ بلى ﴾ في القرآن.

٣٥- صيغة ﴿ وما أدراك ﴾ في القرآن.

٣٦- تعدية فعل ﴿ أراد – يريد ﴾ في القرآن.

٣٧- تعبيرات ﴿ من بين يديه ومن خلفه﴾ و نحوهما في القرآن.

٣٨- تعبيرات الأَمام و الوراء.

٣٩- إسناد الفعل إلى أو ما في معناه إلى فاعله و من قام به أو مسببه، أو الآمر به والداعي له، أو المتهم به، أو الحاكم أو القاضي به.

٤٠- الاستثناء المنقطع.

٤١- لفظ ﴿كذلك ﴾ في القرآن.

هذه هي إحدى وأربعين قاعدة التي ذكرها العلامة الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة حفظه الله في كتابه المذكور. ولا شك أن هذه القواعد كما ذكر فضيلته استنبطها من التدبر الطويل في معاني الآيات القرآنية، و هي تصلح، بل و يجب أن تكون نبراساً يهتدي بها و يسير على هديها كل من نصب نفسه على منبر تفسير و بيان المراد من كتاب الله تعالى. فجزى الله عز وجل علماءنا وأئمتنا السابقين و مشايخنا المعاصرين الذي لم يألوا جهداً في توضيح وتسهيل السبل الموصلة إلى معرفة معاني كتاب الله عز وجل [٧٩].

ومن القواعد التي يحتاج إليها المتدبر والمفسر أيضاً؛ قد أشار إليها فضيلة الشيخ مناع القطان رحمه الله:

١- معرفة الضمائر.

٢- التعريف و التنكير.

---

[٧٩] انظر: **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل – تأملات**؛ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٢، ١٩٨٩، دمشق، سوريا، ص: ١٣-٨٠٠ ؛ و انظر أيضاً: **مفاتيح تدبر القرآن و النجاح في الحياة**؛ د/ خالد بن عبد الكريم اللاحم، ط١، ٢٠٠٤، الرياض.

٣- الإفراد والجمع.

٤- السؤال والجواب.

٥- الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل.

٦- العطف.

٧- الفرق بين الإيتاء والإعطاء.

٨- لفظ ﴿كان، كاد، جعل، لعل، عسى﴾ في القرآن الكريم [٨٠].

أما فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله فقد أشار حفظه الله إلى بعض المبادئ والضوابط المهمة للغاية لمن أراد أن يتدبر أو يفسر كتاب الله تعالى، حيث بين حفظه الله نوعية التفسير الذي نحتاجه في هذا العصر قائلاً؛ - تفسير -:

١- يتجنب الجدل الفلسفي والمماحكات الكلامية، والابتعاد عن الأمور الافتراضية التي أولع بها بعض الفقهاء.

٢- مراعاة موضوع الهداية والعقيدة، والابتعاد عن المصطلحات النحوية والبلاغية إلا للضرورة.

٣- لا مانع من الاستفادة من العلوم الحديثة وما توصلت إليه الحقائق القطعية.

٤- ربط الآيات بعضها ببعض في السورة الواحدة، لأن لكل سورة موضوعاً رئيسياً.

٥- كما أننا بحاجة إلى الجمع بين الرواية والدراية، وصحيح المنقول وصريح المعقول.

٦- تراث السلف ومعارف الخلف.

٧- تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بصحيح السنة، الانتفاع بتفسير الصحابة والتابعين.

٨- الأخذ بمطلق اللغة.

٩- مراعاة السياق.

---

[٨٠] انظر: مناع القطان؛ **مباحث في علوم القرآن**، ص: ١٩٨-٢١٠؛ وانظر: محمد حسين الذهبي؛ **التفسير و المفسرون**، ج ١، ص: ٢٢٩-٢٣٤

١٠- مراعاة الكلمة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، فكثيراً ما تتطور الدلالات والألفاظ بتطور العصور وتطور المعارف واتصال الشعوب والحضارات.

١١- رعاية المخصصات والمقيدات.

١٢- تتبع مورد الكلمة في القرآن.

١٣- كما تجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم يجب أن يكون متبوعاً لا تابعاً.

١٤- فعلى المفسر أن يتجرد من اعتقاداته السابقة، فلا يحمل الآيات على ما وردت من القصص في التوراة والإنجيل.

١٥- والسنة النبوية الصحيحة يجب أن تكون فوق كل شيء. فلا يكون الحديث الصحيح حنفياً ولا شافعياً ولا مالكياً وحنبلياً، فهو فوق المذاهب كلها.

١٦- ولا يجوز أن يكون القرآن معتزلياً ولا أشعرياً ولا أرسطياً ولا أفلاطونياً ولا فارابياً ولا إسماعيلياً ولا قاديانياً، ولا أن يكون جنيدياً ولا قشيرياً ولا نقشبنديًا. بل يجب أن يكون فوق الجميع ومرجع الجميع وحاكم الجميع.

١٧- وسوء التأويل للآيات يأتي إما بسبب قصور في العلم والفكر وإما فساد في النية والقصد.. [٨١].

١٨- عدم اتباع المتشابهات وترك المحكمات.

١٩- عدم سؤ التأويل، ووضع النص في غير موضعه.

٢٠- عدم دعوة النسخ بلا برهان.

٢١- عدم الجهل بالسنن والآثار.

٢٢- عدم الثقة بالإسرائيليات، - والذي يبدو للباحث في هذه المسألة، أنه يفضل للمتدبر أو المفسر في هذا العصر أن لا يتشبث بشيء من الإسرائيليات أصلاً، إلا إذا ثبتت وصحت الرواية، وقليل ما هي. بل، ولقد ذهب بعض أساتذتي الفضلاء إلى

[٨١] انظر: القرضاوي، يوسف: **كيف نتعامل مع القرآن العظيم - فهماً و تفسيراً**، بتصرف شديد، ص: ٢٠٠، ٢٣٧-٢٥٨-٢٦٨

إسقاط مصدر الإسرائيليات من مصادر التفسير جملة وتفصيلاً في هذا العصر، معللاً ذلك أنه إذا كان الأئمة السابقون من أمثال الإمام ابن تيمية وابن حزم ذكروا في زمانهم أنه قد تسرب كثير من الكذب والافتراء والتدليس إلى روايات أهل الكتاب من اليهود والنصارى...فما بالنا نحن في هذا الزمان الصعب والمعقد، ومن حيث الضعف العلمي الشرعي المحقق، إلا ما رحم الله !؟

٢٣- عدم الشرود عن إجماع الأمة [٨٢].

ومن القواعد المهمة للتفسير والتدبر التي ذكرها فضيلة الشيخ خالد عبد الرحمن العك نذكر؛ أنه يجب:

١- مطابقة التفسير للمفسَّر من غير نقص لما يحتاج إليه من إيضاح المعنى.
٢- مراعاة المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فلعل المعنى المجازي هو المراد.
٣- مراعاة التأليف والتآخي بين المعاني والمفردات لتحقيق الغرض الذي من أجله سيق الكلام.
٤- مراعاة التناسب بين الآيات وربط السابق باللاحق.
٥- اجتناب ادعاء التكرار في القرآن الكريم ما أمكن.
٦- أن يكون فطناً يقظاً عليماً بقانون الترجيح بين المعاني.
٧- أن يراعي معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، وهو ما دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس.
٨- أن يراعي القاعدة التي ذكرها بعض أهل العلم من أن للقرآن الكريم؛ " **نزول وتنزل**". و أما النزول فقد مضى وانتهى، وأما التنزل فباق إلى قيام الساعة – وهذا في رأي الباحث يتطابق مع ما ذكره أيضاً بعض أهل العلم من أن هناك قاعدة ؛ " **فقه الواقع، وفقه**

[٨٢] المرجع السابق، ص: ٢٦٠ بتصرف شديد

النص، وفقه تنزيل النص على الواقع " و الله أعلم. فالواجب على المتدبر والمفسر مراعاة ذلك.

٩- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات والمعاملات والسنن الواردة فيها.

١٠- أن يحفظ أقاويل المفسرين من السلف والخلف.

١١- أن يكون جيد القريحة ذكي الفهم قوي الفكرة [٨٣] .

ومن القواعد المهمة للتدبر والتفسير التي ذكرها فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي حفظه الله أن:

١- كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه.

٢- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣- اختلاف القراءات في الآيات يعدد معانيها.

٤- المعنى يختلف باختلاف رسم الكلمة.

٥- مراعاة السياق القرآني.

٦- التفسير يكون بالأغلب الظاهر في اللغة.

٦٣- تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.، لأن القرآن الكريم نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة، إلا إذا دل دليل، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾،[التوبة: ٨٤]، فالصلاة هنا لها معنى اللغوي الذي عو الدعاء، ولها معنى الشرعي مثل صلاة الجنازة على الميت، فيقدم هذا على الأخير. والمثال على تقديم المعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾،[التوبة: ١٠٣]، ومعنى صلِّ عليهم هنا، أي أدع لهم، كما جاء في الحديث

---

[٨٣] خالد عبد الرحمن العك؛ **أصول التفسير وقواعده**،، ص ٨١ – ٨٣ – ١٨٨، وانظر أيضاً: الزرقاني، عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج١، ص ٤٤٥

في صحيح مسلم [٨٤]. قال الإمام ابن تيمية: " كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً. والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ".

ومن القواعد النفيسة والضوابط والأسس التي ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

١- (العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب)، لأن سبب النزول إنما هي أمثلة توضح الألفاظ، ليست الألفاظ مقصورة عليها.

٢- (الألف واللام والداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه). فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾، [الأحزاب: ٣٥]، يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني الإسلام والإيمان والقنوت والصدق..إلى آخرها، وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص، وبعدمها يفقد، هكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب.

٣- (إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم)، مثل قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾، [النساء:٣٦]، فإنه نهي عن الشرك في النيات والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر والشرك الأصغر والخفي والجلي.

٤- (المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع)، فقول تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

[٨٤] فهد بن عبد الرحمن الرومي؛ **أصول التفسير وماهجه**، ص ١٣٦-١٤٣

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، [النساء: ٢٣]، يشمل كل أم انتسبْتَ إليها و إن علت، وكل بنت انتسبَتْ إليك و إن نزلت إلى آخر المذكورات.

٥- (على المفسر مراعاة ما دلت عليه الألفاظ القرآنية مطابقة وما دخل في ضمنها، وأيضاً عليه مراعاة لوازم تلك المعاني وما تستدعيه من المعاني التي لم يصرح اللفظ بذكرها).

٦- (الآيات القرآنية التي ظاهرها التضاد يجب حمل كل نوع منها على حال بحسب ما يليق ويناسب المقام).

٧- (حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب لهز فغذا أطلق الفعل أو ما في معناه فمتى ما تقيد بشيء تقيد به، فإذا أطلقه الله تعالى وحذف المتعلق فعمم ذلك المعنى، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد)، مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، [يوسف: ٢]، أي لعلكم تعقلون عن الله كلما أرشدكم إليه وكلما علمكموه وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، ومثل قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، [التكاثر: ١]، فحذف المتكاثر به ليعم جميع ما يقصد الناس فيه المكاثرة من الرياسات والأموال والجاه والضيعات والأولاد وغيرها مما تتعلق به النفوس ويلهيها عن طاعة الله.

٨- (حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد)، مثل قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾، [الأنعام:]، فحذف الجواب من هذه الآية وشبهها أولى من ذكره ليدل على ذلك على عظمة المقام وأنه لهوله وشدته وفظاعته لايعبر عنه ولا يدرك بالوصف، وكقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾،[التكاثر: ٥]، أي لما أقمتم على ما أنتم عليه من التفريط والغفلة واللهو.

٩- (بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد جل على المعنى العام المناسب له، وإذا قرن مع غيره دل على بعض المعنى، و دل على ما قرن معه على باقيه). ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة، منها: الإيمان، أفرد وحده في آيات كثيرة وقرن مع العمل الصالح في آيات كثيرة، فالآيات التي أفرد

فيها يدخل فيه جميع عقائد الدين وشرائعه الظاهرة والباطنة، ولهذا يرتب الله عليه حصول الثواب و النجاة من العقاب.

١٠- (ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم، مثل ما ذكر الله تعالى مواريث الورثة وقدرها)، كما قال تعالى: ﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، [النساء: ١١]، فكونه عليماً حكيماً يعلم ما لا يعلم العباد ويضع الأشياء مواضعها، فاخضعوا لما قاله وفصله في توزيع الأموال على مستحقيها الذين يستحقونها بحسب علم الله وحكمته.

١١- (القرآن كله محكم باعتبار، وكله متشابه باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث). وقد وصف الله عز وجل القرآن بكل واحدة من هذه الأوصاف الثلاث. فوصفه بأنه محكم في عدة آيات، فقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، [هود: ١]، وم عنى ذلك أنه في غاية الإحكام ونهاية الانتظام. فأخباره كلها حق وصدق ولا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وبركة وصلاح. ووصف الله تعالى القرآن قائلاً: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾، [الزمر: ٢٣]، أي متشابهاً في الحسن والصدق والحق وبالمعاني النافعة والمزكية للعقول المطهرة وللقلوب المصلحة للأحوال. فألفاظه أحسن الألفاظ ومعانيه أحسن المعاني. كما وصف الله تعالى القرآن قائلاً: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾، [آل عمران:٧]، فهنا وصفه الله تعالى بأن بعضه هكذا وبعضه هكذا، وإن أهل العلم بالكتاب يردون المتشابه منه إلى المحكم فيصير كله محكماً ويقولون : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [آل عمران:٧].

١٢- (القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحجوال في أحكامه الراجعة للعرف والعوائد). فالله أمر عباده بالمعروف وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً وعرفاً، ونهاهم عن المنكر. فما كان من المعروف لا يتغير في الأحوال والأوقات، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، فإنه تعالى أمر به في كل وقت، والواجب على الآخرين نظير الواجب على الأولين من هذه الأمة. وما كان من المنكر لا يتغير كذلك بتغير الأوقات، كالشرق والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر ثبتت

في كل زمان ومكان لا تتغير ولا يختلف حكمها، وما كان يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال فإن الله تعالى يردهم فيه إلى العرف والعادة والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت، كأمر الله تعالى بالإحسان للوالدين بالأقوال والأفعال ولم يعين شيئاً مخصوصاً من الإحسان والبر ليعم ذلك كلما تجدد من الأوصاف والأحوال، فقد يكون الإحسان إليهم في وقت غير إحسان في وقت آخر، وفي حق شخص دون الشخص الآخر.

١٣- (إرشادات القرآن على نوعين: أحدهما أن يرشد أمراً ونهياً وخبراً إلى أمر معروف شرعاً أو معروف عرفاً كما تقدم، والنوع الثاني أن يرشد إلى استخراج الأشياء النافعة من أصول معروفة ويعمل في استفادة المنافع منها). فإنه تعالى دعا عباده في بيات كثيرة إلى التفكر في خلق السموات والارض وما خلق الله فيها من العوالم، هذا الفكر يفيدنا علمين جليلين أحدها أننا نستدل بها على ما لله من صفات الكمال والعظمة، والعلم الثاني أننا نفكر فيها ونستخرج منها المنافع المتنوعة والخيرات الدينية والدنيوية. فجميع فنون الصناعات على كثرتها وتنوعها في هذه الأوقات داخل في تسخيرها لنا، وتقدم لنا في قاعدة اللازم أن ما لا تتم به الأمور المطلوبة إلا به فهو مطلوب، وهذا يدل على أن تعلم الصناعات والمخترعات الحديثة من الأمور المطلوبة شرعاً، وأنها من الجهاد في سبيل الله ومن علوم القرآن.

١٤- (القرآن يرشد إلى التوسط والاعتدال في الأمور ويذم التقصير والغلو ومجاوزة الحد) ، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾، [النحل: ٩٠]، والآيات الآمرة بالعدل والناهية عن ضده كثيرة، والعدل في الأمور لزوم الحد فيها و أن لا يغلو وأن لا يتجاوز الحد، كما لا يقصر ويدع بعض الحق.

١٥- (الأصل: أن الآيات التي فيها قيود لا تثبت أحكامها إلا بوجود تلك القيود إلا في آيات يسيرة). فإنه تعالى متى رتب في كتابه حكماً على شيء وقيده بقيد أو شرط تعلق الحكم به على ذلك الوصف الذي وصفه الله تعالى. فالذي يدعو مع الله إلهاً آخر فهو كافر، و إنه ليس له برهان، و إنما قيدها الله بهذا القيد بياناً لشناعة الشرك والمشرك، وإن الشرك قطعاً ليس له دليل شرعي ولا عقلي، وكقوله تعالى تعالى:﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾، [النساء:٢٣]، مع أن كونها في حجره وغير حجره ليس شرطاً

لتحريمها، فإنها تحرم مطلقاً، ولكن الله ذكر هذا القيد تشنيعاً لهذه الحالة، وأنه من القبيح إباحة الربيبة التي هي في حجر الإنسان بمنزلة بنته.

١٦- (المحترزات في القرآن تقع في المواضع في أشد الحاجة إليها). وذلك أن كل وضع يسوق الله فيه حكماً من الأحكام أو خبراً من الأخبار، فيتشوف الذهن إلى شيء آخر إلا وجدت الله قد قرن به ذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان فيبينه أحسن بيان، و هذا أعلى أنواع التعليم الذي لا يبقي إشكالاً إلا و أزاله ولا احتمالا إلا أوضحه. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا..﴾، ولما خصها بالذكر ربما وقع في بعض الأذهان تخصيص ربوبيته بها، فإنه تعالى أزال هذا الوهم قائلاً: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴾، [النمل: ٩١].

١٧- (في الفوائد التي يجنيها العبد في معرفته وفهمه لأجناس علوم القرآن)، وهذه القاعدة تكاد أن تكون هي المقصود الأعظم في علم التفسير، وذلك أن القرآن يشتمل على علوم متنوعة وأصناف جليلة من العلوم، فعلى العبد أن يعرف المقصود من كل نوع منها ويعمل على هذا ويتبع الآيات الواردة غيه فيحصل المراد منها علماً وتصديقاً وحالاً وعملاً. فأجل علوم القرآن على الإطلاق علم التوحيد وما لله من صفات الكمال، ومنها صفات الرسل وأحوالهم وما جرى لهم وعليهم ومن وافقهم أو خالفهم، فيقتدي بأخلاقهم وأعمالهم خصوصاً بإمامهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم. ومن علوم القرآن علم أهل السعادة والخير، وأهل الشقاوة والشر، وفيها فائدة الاقتداء بالأخيار والترهيب من أحوال الأشرار.

١٨- (أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة: إيماننا بالاسم وبما دل عليه من المعنى وبما تعلق به من الآثار).

١٩- (ربوبية الله في القرآن على نوعين: عامة وخاصة). فالربوبية العامة تدخل فيه المخلوقات كلها برها وفاجرها وحتى الجمادات، وأنه تعالى المنفرد بخلقها ورزقها وتدبيرها، النوع الثاني في تربيته لأصفيائه وأوليائه فيربيهم بالإيمان الكامل ويوفقهم لتكميله، ويكملهم بالأخلاق الجميلة ويدفع عنهم الأخلاق الرذيلة وييسرهم لليسرى و يجنبهم العسرى، وحقيقتها التوفيق لكل خير والحفظ من كل شر وإنالة المحبوبات العاجلة والآجلة، وصرف المكروهات العاجلة والآجلة.

٢٠- (إذا أمر الله بشيء كان ناهياً عن ضده، و إذا عفا عن شيء كان آمراً بضده، و إذا أثنى على نفسه أو على أوليائه بنفي شيء من النقائص كان ذلك إثباتاً للكمال). و ذلك لأنه لا يمكن امتثال الأمر على وجه الكمال إلا بترك ضده، فحيث أمر بالصلاة والتوحيد والزكاة والصوم كان ناهياً عن الشرك وعن ترك الصلاة وترك الزكاة وترك الصوم. وحيث أمر بالصبر والشكر وإقبال القلب على الله إنابة ومحبة وخوفاً كان ناهياً عن الجزع والسخط وكفر بالنعم. وكذلك المدح لا يكون إلا بإثبات الكمالات، فحيث أثنى على نفسه بكمال حياته وكمال قيوميته وقدرته وسعة علمه وكمال عدله..ذكر تنزهه عن النقائص والعيوب كالنوم والسِنة واللغوب والموت. وكذلك إذا نفى عن رسوله الكذب والتقوّل والجنون والسحر والشعر والغلط اثبت أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾، [النجم:٣-٤].

٢١- (المرض في القرآن – مرض القلوب – نوعان: مرض شبهات وشكوك، ومرض شهوات المحرمات). والطريق إلى التمييز بين الاثنين مع كثرة ورودهما في القرآن يدرك من السياق. فإن كان السياق في ذم المنافقين والمخالفين في شيء من أمور الدين، كان هذا مرض الشكوك والشبهات. و إن كان السياق في ذكر المعاصي والميل إليها كان مرض شهوة. وصحة القلب الكاملة بشيئين؛كمال علمه ومعرفته ويقينه، فالقلب الصحيح هو الذي عرف الحق واتبعه وعرف الباطل وتركه. فإن كان علمه شكاً وعنده شبهات تعارض ما أخبر الله و رسوله كان علمه منحرفاً، وكان مرض قلبه قسوة وضعفاً بسبب هذه الشكوك والشبهات. وإن كانت إرادته مائلة إلى شيء من معاصي الله كان ذلك انحرافاً في إرادته، ومقد يجتمع الأمران فيكون القلب منحرفاً في علمه و إرادته، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾، [البقرة: ١٠]، وهي الشكوك والشبهات لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾، [البقرة: ١٠]، عقوبة على ذلك المرض الناتج عن أسباب متعددة كلها منهم وهم فيها غير معذورين. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾، [التوبة: ١٢٥].

٢٢- (دل القرآن الكريم في عدة آيات أن من ترك ما ينفعه مع الإمكان، ابتلي بالاشتغال بما يضره وحرم الأمر الأول)، والدليل على ذلك أن المشركين لما زهدوا في عبادة الرحمن ابتلوا بعبادة الأوثان، ولما استكبروا عن الانقياد للرسل، ابتلوا بالانقياد لكل مارج العقل والدين. ولما عرض عليهم الإيمان أول مرة فعرفوه ثم تركوه، قلّب الله قلوبهم وطبع عليها وختمها، فلا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. ولما أهانوا آيات الله و رسله أهانهم الله بالعذاب المهين.

٢٣- (في القرآن عدة آيات فيها الحث على أعلى المصلحتين وتقديم أهون المفسدين، ومنع ما كانت مفسدته أرجح من مصلحته). وهذه قاعدة جليلة نبه الله عليها في آيات كثيرة. فمن الأول: المفاضلة بين الأعمال وتقديم الأعلى منها، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، [الحديد: ١٠]، وكقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾، [التوبة: ١٩]. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾، [البقرة: ٢١٧].

٢٤- (طريقة القرآن إباحة الاقتصاص من المعتدي ومقابلته بمثل عدوانه والنهي عن ظلمه والندب إلى العفو والإحسان). وهذا مشاهد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾،[النحل: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾، [الشورى: ٤٠].

٢٥- (اعتبر الله القصد والإرادة في ترتيب الأحكام على أعمال العباد). وقد صرح بهذا الأصل النبي صلى الله عليه وسلم [إنما الأعمال بالنيات]، وآيات كثيرة أيضاً، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، [النساء: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾،

[البقرة:٢٦٥]. وفي مقابله قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾، [البقرة:٢٦٤].

٢٦- (قد دلت آيات كثيرة على جبر خاطر المنكسر قلبه ومن تشوفت نفسه لأمر من الأمور إيجاباً واستحباباً). وهذه قاعدة لطيفة اعتبرها الله عز وجل وأرشد عباده إليها عدة آيات منها، المطلقة فإنها لما كانت في الغالب منكسرة القلب حزينة على فراق بعلها أمر الله بمتعتها على الموسوع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف، قال تعالى: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾، [البقرة: ٢٣٦]. وكذلك من مات زوجها عنها فإن من تمام جبر خاطرها أن تمكث عند أهله سنة كاملة وصية ومتعة مرغوب فيها، قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، [البقرة: ٢٤٠].

٢٧- (في دلالة القرآن على أصول الطب: فأصول الطب من منظور القرآن ثلاثة: ١- حفظ الصحة باستعمال الأمور النافعة، ٢- والحمية من الأمور الضارة، ٣- دفع ما عرض للبدن من المؤذيات). ومسائل الطب تدور على هذه القواعد الثلاثة. وقد نبه القرآن عليها في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾، [الأعراف: ٣١]، فأمر بالأكل والشرب و أطلق ليدل على أن المأكول والمشروب بحسب ما يلائم الإنسان وينفعه في كل وقت وحال، نهى عن الإسراف في ذلك إما في كثرة المأكولات والمشروبات، وإما بالتخليط وهذا حمية عن كل ما يضر الإنسان.

٢٨- (يرشد الله عباده في كتابه من جهة العمل إلى قصر نظرهم إلى الحالة الحاضرة التي هم فيها، ومن جهة الترغيب فيه والترهيب من ضده إلى ما يترتب عليه من المصالح، ومن النعم بالنظر إلى ضدها). وهذه القاعدة الجليلة دل عليها القرآن في آيات كثيرة، فإن العامل إذا كان مشتغلاً بعمله الذي هو وظيفة وقته، فإن قصر فكره وظاهره وباطنه عليه نجحز و إذا تشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد فترت عزيمته، وسببت هذه النظرة إلى

الأعمال الأخرى في نقص أتقان عمله الحاضر، و إذا جاءه العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه، فيفوت الأول والثاني، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾، [النساء:٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾، [آل‌عمران: ١٤٣]، وقا تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾، [النساء: ٦٦].

٢٩- (إن الله قد ميز في كتابه بين حقه الخاص وحق رسوله الخاص والحق المشترك). الحقوق ثلاثة: حق لله وحده لا يكون لغيره، وهو: عبادته وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادات. وحق رسوله صلى الله عليه وسلم حق خاص وهو: التعزير والتوقير والقيام بحقه اللائق والاقتداء به. حق مشترك، وهو: الإيمان بالله ورسوله ومحبة الله و رسوله. وقد ذكر الله الحقوق الثلاثة في كتابه: فحق الله وحده: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾، [الفتح:٩]، والحق المشترك: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾، [الفتح :٩]، وحق الرسول صلى الله عليه و سلم الخاص: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾، [الفتح:٩]

٣٠- (يأمر الله بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي يخشى من عواقبها، ويأمر ويحث على المبادرة على أمور الخير التي يخشى فواتها. وهذه القاعدة في القرآن كثيرة). منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾، [النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾، [الحجرات: ٦]، وقد عاتب الله تعالى المتسرعين إلى إذاعة الأخبار التي يخشى من إذاعتها، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾،[النساء: ٨٣].

٣١- (إذا كان سياق الآيات في أمور خاصة وأراد الله أن يحكم عليها وذلك الحكم لا يختص بها بل يشملها ويشمل غيرها، جاء الله بالحكم العام). وهذه القاعدة من أسرار القرآن

وبدائعه، و أكبر دليل على انتظامه العجيب. ومثالها في القرآن لما ذم الله المنافقين، استثنى التائبين منهم، قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، [النساء: ١٤٦]، فلما اراد الله أن يحكم بالأجر لم يقل وسوف يؤتيهم أجراً عظيماً، بل قال: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾، ليشملهم وغيرهم ومن كل مؤمن، ولئلا يظن اختصاص الحكم بهم.

٣٢- (إذا منع الله عباده المؤمنين شيئاً تتعلق به إرادتهم فتح لهم باباً أنفع لهم وأسهل وأولى). وهذا من لطفه تعالى. قال تعالى:﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾، [النساء: ٣٢]، فنهاهم عن تمني ما ليس بنافع وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، وأمرهم أن يسالوه بلسان المقال وبلسان الحال. ولما سأل موسى رؤية ربه حين سمع كلامه، ومنعه الله منها، فالله عز وجل سلاّه بما أعطاه من الخير العظيم، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، [الأعراف: ١٤٤].

٣٣- (من قواعد القرآن أن يبين الأجر والثواب على قدر المشقة في طريق العبادة، ويبين مع ذلك أن تسهيله لطريق العبادة من منه وإحسانه، وأنها لا تنقص من الأجر شيئاً). وهذا من لطف الله وإحسانه، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، [البقرة: ٢١٦]. فبين الله تعالى أن هذه العبادة العظيمة لعظم مصلحتها وكثرة فوائدها العامة والخاصة وإن شقت عليهم وكرهتها النفوس، ولكن هذه المشقات بالنسبة إلى ما تفضي إليه من الكرامات ليست بشرّ، بل هي خير محض وإحسان صرف من الله على عباده.

٣٤- (كثيراً ما ينفي الله الشيئ لانتفاء فائدته وثمرته المقصودة منه، وإن كانت صورته موجودة). وذلك أن الله خلق الإنسان وركب فيه القوى من السمع والبصر والفؤاد وغيرها ليعرف ربه ويقوم بحقه، فهذا هو المقصود منها، فإنها حجة الله على عباده ونعمته التي توجد بها مصالح الدين والدنيا. وإما أن تكون محنة وحجة على صاحبها إذا استعملها في غير ما خلقت له،

ولهذا كثيرًا ما ينفي الله الله هذه الأمور الثلاثة عن أصناف الكفار والمنافقين كقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾، [البقرة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾، [الأعراف: ١٧٩].

٣٥- (إذا أراد الله إظهار شرف أنبيائه وأصفيائه بالصفات الكاملة، أراهم نقصها في غيرهم من المستعدين للكمال). وذلك في أمور كثيرة وردت في القرآن، منها لما أراد الله إظهار شرف آدم على الملائكة بالعلم، ثم امتحن الملائكة فعجزوا عن معرفتها، فحينئذ نبأهم آدم عنها، فخضعوا لعلمه وعرفوا فضله وشرفه. ولما أراد الله إظهار شرف يوسف عليه السلام في سعة العلم والتعبير، رأى الملك تلك الرؤيا ثم عرضها من لديه علم ومعرفة، فعجزوا عن معرفتها، ثم بعد ذلك عبر عنها يوسف عليه السلام ذلك التعبير العجيب. والآيات في هذا معروفة واضحة.

٣٦- ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾، [الإسراء: ٩]. ما أعظم هذه القاعدة الذي نص عليه نصاً صريحاً، وعمم ذلك و لم يقيده بحالة من الأحوال، فكل حال هي أقوم في العقائد والأخلاق والأعمال والسياسات الكبار والصغار والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية. ومعنى ﴿ أقوم ﴾، أي أكمل وأصلح وأعظم قياماً وإصلاحاً.

٣٧- (معرفة الأوقات وضبطها حث الله عليه، حيث يترتب عليه حكم عام أو حكم خاص). وذلك أن الله رتب كثيراً من الأحكام العامة والخاصة على مدد وأزمنة تتوقف الأحكام عملاً وتنفيذاً على ضبط تلك المدة، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾، [البقرة:١٨٩]، و قوله: ﴿ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾، يدخل فيه مواقيت الصلوات والصيام والزكاة، وخص الحج بالذكر لكثرة ما يترتب عليه من الأوقات الخاصة والعامة، كذلك مواقيت العِدَدْ والديون والإجارات وغيرها.

٣٨- (الصبر أكبر عون على كل الأمور والإحاطة بالشيء علماً وخبراً هو الذي يعين على الصبر). وهذه القاعدة دل عليها القرآن صريحاً في آيات كثيرة، قال تعالى:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾،[البقرة: ٤٥]. أي استعينوا على جميع

المطالب وفي جميع شؤونكم بالصبر، فإن الصبر يسهل على العبد القيام بوظيفة الطاعات وأداء حقوق عباده. وقا تعالى:﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾، [الكهف: ٦٧-٦٨]. فعدم إحاطته به خبراً يمتنع معه الصبر.

٣٩- (يرشد القرآن إلى أن العبرة بحسن حال الإنسان؛ إيمانه وعمله الصالح، وأن الاستدلال على ذلك يابدعاوي المجردو أو بإعطاء الله العبد من الدنيا أو الرياسات..كل ذلك من طرق المنحرفين). والقرآن قد فصل في هذا الأمر قائلاً:﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾، [سبإ: ٣٧].

٤٠- (قد ارشد القرآن إلى منع الأمر المباح غذا كان يفضي إلى محرم أو ترك). وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع عديدة، فمنها قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، [الأنعام: ١٠٨]، وقوله تعالى:﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، [النور: ٣١﴾].

٤١- (من قواعد القرآن أنه يستدل بالأقوال والأفعال على ما صدرت عنه من الأخلاق والصفات). وهذه قاعدة جليلة، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾، [الفرقان: ٦٣]. وذلك صادر عن وقارهم وسكينتهم وخشوعهم وعن حلمهم الواسع وخلقهم الكامل وتنزيههم لأنفسهم عن مقابلة الجاهلين، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾،[القصص: ٥٥].

٤٢- (من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه)، وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع كثيرة. فإبراهيم عليه السلام لما اعتزل قومه واباه وما يدعون من دون الله وهب له إسحاق ويعقوب والذرية الصالحين، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾، [مريم:٤٨]، وأهل الكهف لما اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله وهب لهم من رحمته وهيأ لهم أسباب التوفيق والراحة وجعلهم هداية للضالين، قال تعالى: ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ

بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾، [الكهف:١٥-١٦]. وكذلك مريم التي أحصنت فرجها فأكرمها الله فقال: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾، [الأنبياء: ٩١].

٤٣- (القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين ولا يعصم من جميع الشرور إلا التمسك بأصوله وفروعه). فأهل الشر والفساد نوعان: أحدهما؛ المبطلون في عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم الذين يدعون إليها. ففي القرآن من الحجج والبراهين على فساد أقوالهم شيء كثير. والنوع الثاني: من المقاومين للأديان والسياسات والحقوق من امثال الشيوعيين الذين انتشر شرهم وتفاقم أمرهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾، [الفرقان: ٣٣].

٤٤- (في اشتمال كثير من الفاظ القرآن على جوامع المعاني). إن كثيراً من الفاظ القرآن الكريم هي جوامع المعاني، وهي من أعظم الأدلة على أنه تنزيل من حكيم حميد. والأمثلة على الألفاظ القرآنية التي فيها: جوامع المعاني، نذكر قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾،[فصلت: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾،[الرحمن:٦٠]، وقوله:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾،[٩٠]، وقوله: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾، [المائدة:٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾، [الشورى:٣٨]. فهذه الآيات الكريمات وما اشبهها كل منها قاعدة، وأصل كبير تحتوي على معان كثيرة، والله أعلم[٨٥] .

و نضيف هنا أيضاً و نقول؛ إن المفسر يحتاج أيضاً إلى معرفة بعض القواعد الأصولية التي وضعها الأصوليون و إلى القواعد الفقهية التي وضعها الفقهاء، ومن القواعد الفقهية التي ذكرتها مجلة الأحكام العدلية: **الأمور بمقاصدها، اليقين لا يزول بالشك، الضرر لا يكون قديماً،**

[٨٥] للاستزادة والتفصيل..انظر: **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، للشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، فالباحث اقتبس من هذا الكتاب الجليل إحدى وأربعين قاعدة من مجموع الحادي والسبعين قاعدة تفسيرية..بتصرف، ص ٧ – ٢٣٠

الأصل براءة الذمة، لاضرر ولا ضرار، المشقة تجلب التيسير، الضرورات تبيح المحظورات..الخ. وقد ألفت في هذه القواعد كتب، مثل كتاب:**الفروق**، للإمام القرافي، **والأشباه النظائر**، للإمام السيوطي، **والقواعد النورانية**، للإمام ابن تيمية، و**مجلة الأحكام العدلية** في الدولة العثمانية..الخ [٨٦].

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبر القرآن حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويفى بشرطه، ولا يلتمس الهدى في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهره، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فانه أهل التقوى وأهل المغفرة.

[٨٦] الصباغ، لطفي: **مباحث في أصول التفسير و المنهجية**، ٢١٠-٢١٤

المصادر والمراجع

١. ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية أبو عبد الله، **التفسير القيم**، جمعه : محمد أويس الندوي، حققه محمد حامد، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني ٢٠٠٦، المدينة المنورة.

٢. ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية أبو عبد الله؛ **الفوائد**، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني ٢٠٠٦، مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة.

٣. ابن تيمية، أحمد الحراني؛ **مقدمة في أصول التفسير**، ط٢، دار الحديث، ١٩٨٢، بيروت.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر؛ **التحرير والتنوير**، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني ٢٠٠٦، مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة.

٥. ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل القرشى الدمشقي؛ **تفسير القرآن العظيم**، دار القلم، دمشق، ١٩٨٣.

٦. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١.

٧. الأصفهاني؛ الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، **مفردات ألفاظ القرآن**، نسخة محققة، دار القلم، دمشق. ١٩٨٠.

٨. الأندلسي، للإمام أبي حيان، **البحر المحيط**؛ (المكتبة الالكترونية الشاملة- الإصدار الثاني) ٢٠٠٦.

٩. بكار، عبد الكريم ؛ **عصرنا والعيش في زمانه الصعب**، دار القلم، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤.

١٠. بلتاجي، محي الدين؛ **دراسات في التفسير وأصوله**، ط١، ١٩٨٧، دار الثقافة، الدوحة.

١١. البوطي، محمد سعيد رمضان؛ **من روائع القرآن – تأملات علمية و أدبية في كتاب الله عز وجل**، ط.د، ١٩٨٢، مكتبة الفارابي، دمشق.

١٢. الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **تعريف الدارسين بناهج المفسرين**، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨.

١٣. الخالدي، صلاح عبد الفتاح؛ **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، ط٢، ١٩٩٤، دمشق، دار القلم.

١٤. الخالدي، عبد الفتاح صلاح؛ **في ظلال القرآن في الميزان ـ دراسة و تقويم**، ط ١، ١٩٨٦، دار المنارة للنشر .

١٥. الذهبي، محمد حسين؛ **التفسير و المفسرون**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٦. الرازي، للإمام محمد فخر الدين بن لعلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري؛ **مفاتيح الغيب، المشتهر بالتفسير الكبير**، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ٢٠٠٦، مكتبة الحرم النبوي.

١٧. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن؛ **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٨٦

١٨. الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط. د، مكتبة التوبة، الرياض، ١٤١٣ هـ،

١٩. الرومي، فهد بن عبد الرحمن؛ **دراسات في علوم القرآن الكريم**، جامعة الملك سعود، الرياض، ط ١٦، ٢٠٠٩.

٢٠. زرزور، محمد عدنان؛ **مدخل إلى التفسير و علومه** ، ط١، دار القلم، ١٩٩٥، دمشق.

٢١. الزرقاني، محمد عبد العظيم؛ **مناهل العرفان في علوم القرآن**، دار البشير، ط٢، ١٩٩٠، بيروت.

٢٢. الزركشي، أبي عبد الله؛ **البرهان في علوم القرآن**، (المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني ٢٠٠٦، مكتبة الحرم النبوي بالمدين ةالمنورة.

٢٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، **الكشاف**، قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ٢٠٠٦، المدينة المنورة.

٢٤. السبت، خالد عثمان؛ **قواعد التفسير – جمعاً ودراسة**، ط٢، دار ابن عفان،٢٠٠٨ القاهرة.

٢٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر؛ **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، دار الصميعي، ط١، ١٩٩٩، الرياض

٢٦. السنيدي، سلمان بن عمر؛ **تدبر القرآن**، كتاب المنتدى – مجلة البيان، ط١، ٢٠٠١

٢٧. السيوطي، للإمام أبي عبد الرحمن؛ **الإتقان في علوم القرآن**، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٢٨. الصباغ، لطفي؛ **بحوث منهجية في أصول التفسير**، ، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧، بيروت، لبنان.

٢٩. **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط٤، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠

٣٠. الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير؛ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المكتبة الالكترونية الشاملة، الإصدار الثاني، ٢٠٠٦.

٣١. العك، خالد عبد الرحمن؛ **أصول التفسير وقواعده**، ط٢، ١٩٨٦، دار النفائس، بيروت، لبنان.

٣٢. الغزالي، أبو حامد؛ **احياء علوم الدين**، ط.د، ت.د. دار الملايين، بيروت، لبنان.

٣٣. الغزالي، محمد؛ **كيف نتعامل مع القرآن**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩١، هيرند- فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية

٣٤. القرضاوي، يوسف؛ **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٩٩٧، بيروت.

٣٥. القرضاوي، يوسف؛ **كيف نتعا مل مع القرآن العظيم – فهماً وتفسيراً**، ط١، ١٩٩٩، دار الشروق، القاهرة.

٣٦. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٣٧. القطان، مناع؛ **مباحث في علوم القرآن**، ط٥، ١٩٨١، دار غريب للطباعة، القاهرة .

٣٨. قطب، سيد؛ **خصائص التصور الإسلامي**، ط٨، ١٩٨٣، دار الشروق، بيروت

٣٩. قطب، سيد؛ **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٩٨٨، مطبعة الفيصل.

٤٠. قطب، سيد؛ **التصوير الفني للقرآن**، دار الشروق، (ط.د.)، (ت.د).

٤١. قطب، سيد؛ **المستقبل لهذا الدين**، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٩٨٨، مطبعة الفيصل.

٤٢. قطب، سيد؛ **في ظلال القرآن**، بقلم ، ط ١١، ١٩٨٥، دار الشروق، القاهرة.

٤٣. قطب، سيد؛ **معالم في الطريق**، ١٩٨٠، دار الشروق، بيروت .

٤٤. قطب، سيد؛ **مقومات التصور الإسلامي**، ط ٨، دار الشروق، ١٩٨٣، بيروت.

٤٥. قطب، سيد؛ **نحو مجتمع إسلامي**، ، ط٨، ١٩٨٨، دار الشروق .

٤٦. قطب، سيد؛ **هذا الدين**، ، ط٤، ١٩٩٩، دار الشروق.

٤٧. اللاحم، خالد بن عبد الرحمن؛ **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة - ١٠ عشرة مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل**، ط١، ٢٠٠٤، الرياض، المملكة العربية السعودية

٤٨. اللاحم، خالد بن عبد الكريم؛ **مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة**، ط١، ٢٠٠٤، الرياض، المملكة العربية

٤٩. الميداني، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة؛ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، ، ط٢، ١٩٨٩، دار القلم، دمشق.